عليهم السلام

الاصطفاء الإلهي لآل محمد

قراءة عقدية تفسيرية
في رواية الإمام علي بن موسى الرضا «عليه السلام»

عماد الكاظمي

الكاظمية
للتأليف والتحقيق والنشر

الاصطفاء الإلهي لآل محمد عليهم السلام

قراءة عقدية تفسيرية

في رواية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

عماد الكاظمي

٢٣٩,٣
ك ٢٦٨ الكاظمي، عماد.
الاصطفاء الإلهي لآل محمد عليهم السلام .
عماد الكاظمي. ط١ – قم: دار الرافد، ٢٠٢٤م
(١٠٢) ص، (١٧ ×٢٥) سم.
١. أهل بيت النبي. أ. العنوان.
رقم الإيداع
١٠٧٢ / ٢٠٢٤
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

- **الكتاب: الاصطفاء الإلهي لآل محمد عليهم السلام .**
- **المؤلف: عماد الكاظمي.**
- **الطبعة: الأولى.**
- **المطبعة: دار الرافد – قم المقدسة.**
- **الناشر: الكاظمية للتأليف والتحقيق والنشر.**
- **السنة: ١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م.**

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠٧٢) لسنة ٢٠٢٤م

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي الأمين، وعلى آله الأئمة الهداة المصطفين على الخلق أجمعين.

إنَّ التراث الإسلامي قد حفظ لنا في صفحاته المشرقة تلك الروايات الشريفة المباركة التي تؤكد ما ورد عن النبي الأكرم وأهل بيته (صلوات الله عليهم) من تعاليم الشريعة المقدسة في جوانبها المختلفة، وتعدُّ الإمامة من أهم الموضوعات التي سلَّطت الضوء عليها تلك الروايات، فضلًا عن المواقف العملية الجليَّة في ذلك.

وللإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أحاديث مهمة في بيان ذلك، تُظهر مقامهم الإلهي الذي آختاره الله تعالى لهم، ومن ذلك حديثه المبارك عن الاصطفاء الإلهي لخلفائه، في جوابه الشافي لسؤال سأله المأمون العباسي عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ آصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]، وإنَّه عليه السلام سوف يتحدث في (حديث الاصطفاء) بما يمكن الاستشهاد بها في القرآن الكريم على بيان مقام أهل البيت عليهم السلام وفضلهم من دون الأمة كلها، مع تأكيد ذلك بالروايات الشريفة الواردة في هذا الشأن، ويمكن الاستدلال بها على إمامة الأئمة عليهم السلام خاصة، من دون الأمة عامة.

لقد فصَّل الإمام عليه السلام بيان حقيقة هذا الاصطفاء من خلال الاستشهاد بالقرآن الكريم في آثني عشر موردًا، وسيتم في هذه الصفحات الموجزة من الكتاب بيان ما

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

يتعلق بذلك[٢]، بعد مقدمة، وتمهيد، ثم خاتمة، وتسليط الضوء عليها قرآنيًّا أو روائيًّا في قراءة عقدية تفسيرية موازنة بما يؤيد ذلك في تفاسير المسلمين المشهورة، وسوف أذكر النصوص التفسيرية من مصادرها المختلفة لبيان تواترها أو اشتهارها بين الأعلام، وهو مما لا يخفى على المختصين أهميته.

أسأله تعالى التوفيق في بيان ما ورد من علوم آل محمد (صلوات الله عليهم)؛ لتكون منهلًا خالصًا لعقيدة المسلمين؛ ودعوةً لبيان فضلهم ومقامهم وآثارهم؛ والتمسك بهم، وإحياء تراث الأئمة عليهم السلام في الأمة، إنه سميع مجيب.

عماد الكاظمي
الكاظمية المقدسة
الأربعاء ١٥ شهر رمضان ١٤٤٥هـ
٢٧ آذار ٢٠٢٤م
الذكرى السنوية لولادة الإمام
الحسن المجتبى عليه السلام

(٢) الكتاب في الأصل هو مجموع بحثين لمؤتمرين علميين، الأول هو بحث تمت المشاركة فيه في المؤتمر العلمي الدولي السنوي الثاني عشر الذي أقامته الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة بعنوان (الإمام الرضا منهج نبوة، وعمق إمامة، وشمس هداية) للمدة ٢٧-٢٨ ربيع الأول ١٤٤٥هـ الموافق ١٣-٢٠٢٣/١٠/١٤م، حيث تم الحديث في موارد ستة من الحديث، والآخر هو بحث للمشاركة فيه في مؤتمر أسبوع الإمامة العلمي الدولي الثاني الذي أقامته الأمانة العامة للعتبة العباسية المقدسة بعنوان (النبوة والإمامة صنوان لا يفترقان) بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٤٤٥هـ الموافق ٢٠٢٤/٧/٢م، حيث تم الحديث في الموارد الستة الأخرى.

تمهيد: المقام الإلهي لأهل البيت عليهم السلام.

إنَّ مسألة الإمامة من المسائل العقدية المهمة التي يدور البحث فيها بين المسلمين على آختلاف مذاهبهم منذ اليوم الأول لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا الحاضر، على الرغم من بيانها وصراحة النصوص فيها من خلال القرآن والسنة الشريفة المتواترة، ولكن الأهواء وتقديس الأشخاص من دون النظر إلى الإساءة إلى الشريعة الإسلامية المقدسة كانت من أهم الأسباب في الابتعاد عن الحق، وقال الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) حيث يصف ذلك الانقلاب الذي حدث في الأمة: ((وأعظم خلاف في الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدةٍ دينيةٍ مثلما سُلَّ على الإمامة في كُلِّ زمانٍ))[٣]، فاختلفت الأمة بذلك على مدرستين رئيستين، الأولى مدرسة النص والتي آتخذت من آتباع أهل البيت مرجعية لها. والأخرى مدرسة الشورى التي آتخذت من الصحابة مرجعية لها.

وإنَّ الآيات القرآنية المتعددة وكثير من الروايات الشريفة تؤكد مقام الأئمة عليهم السلام ومنزلتهم التي لم يشاركهم فيها أحد ممن تصدى للخلافة من المسلمين[٤]، فضلًا عن

---

(١) الملل والنحل، عبد الكريم، تقديم وإعداد: الدكتور عبد اللطيف محمد العبد، (مط الأنجلو المصرية، مصر، ط١، ١٩٧٧م) ص٢٥.

(٤) للتفصيل ينظر مثلًا: النكت الاعتقادية، محمد بن النعمان الشيخ المفيد، تحقيق: رضا المختاري، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣) ، قواعد المرام في علم الكلام، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، (مط الصدر، ط٢، ١٤٠٦هـ، د.م) ، مناهج اليقين في أصول الدين، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي، تحقيق: يعقوب الجعفري المراغي، (مط إسوة، ط١، ١٤١٥هـ، د.م) ، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة،

الأدلة العقلية الدالة على ذلك، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أشار إلى ذلك في أواخر أيام حياته الشريفة، إذ يروي الطبراني (ت٣٦٠هـ/٩٧١م) ما أكده النبي للأمة في حجة الوداع بما لا يقبل أدنى شك في ذلك، فقال: ((نَزَلَ النَّبِيُّ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" يَوْمَ الْجُحْفَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَجِدُ لِنَبِيٍّ إِلَّا نِصْفَ عُمُرِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبُ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَصَحْتَ .... فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ؟ فَنَادَى مُنَادٍ: وَمَا الثَّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ لَا تَضِلُّوا، وَالْآخَرَ عِتْرَتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَسَأَلْتُ ذَلِكَ لَهُمَا رَبِّي، فَلَا تَقْدُمُوهُمَا فَتَهْلَكُوا، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلَكُوا، وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ "رَضِيَ اللهُ عَنْهُ" فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِي فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ))(٥).

وإنَّ هذه المنزلة العظيمة الخاصة سوف يشير إليها الإمام الرضا عليه السلام في حديثه المبارك «حديث الاصطفاء» بتفصيل تارة، وإجمال أخرى، وهذا ما يلمسه الباحث بكُلِّ وضوح عند مراجعته والتأمل فيه، وقد آقتصرت على حديث الطبراني المتقدم لتواتره بين المسلمين لفظًا ومعنًى، وتأكيده التام في آخر وصيته للأمة على تلك المنزلة الإلهية التي جعلها الله تعالى لهم عليهم السلام، وهذه عقيدتنا تجاه الأئمة عليهم السلام أنها قائمة بالنص، قال الشيخ المظفر قدس سره (ت١٣٨٣هـ/١٩٦٤م): ((نَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِمَامَةَ

الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، (مط الهادي، قم، ط١، ١٣٧٩ش).

(٥) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الناشر: مكتبة آبن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.مط) ج٥ ص١٦٦.

كَالنُّبُوَّةِ لَا تَكُوْنُ إِلَّا بِالنَّصِّ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُوْلِهِ، أَوْ لِسَانِ الْإِمَامِ الْمَنْصُوْبِ بِالنَّصِّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنُصَّ عَلَى الْإِمَامِ مِنْ بَعْدِهِ، وَحُكْمُهَا فِيْ ذَلِكَ حُكْمُ النُّبُوَّةِ بِلَا فَرْقٍ، فَلَيْسَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَحَكَّمُوْا فِيْ مَنْ يُعَيِّنَهُ اللهُ هَادِيًا وَمُرْشِدًا لِعَامَّةِ الْبَشَرِ، كَمَا لَيْسَ لَهُمْ حَقَّ تَعْيِيْنِهِ أَوْ تَرْشِيْحِهِ أَوْ انْتِخَابِهِ))(٦).

إنَّ «حديث الاصطفاء» هو من عيون تراث الإمام الرضا عليه السلام في الجانبين العقدي والتفسيري، ومن سبل الدعوة والاحتجاج بالحسنى في بيان العقيدة الإسلامية ، ويلحظ الباحث من خلال منهج الاستدلال وقوة الحجج التي يستند إليها الإمام في ذلك المجلس الذي ضم المأمون العباسي وعدد كبير من العلماء، وقد استطاع الإمام في ذلك المجلس من محاجَّة القوم وإقامة الدليل على ما يدعيه من خلال القرآن الكريم، والمشهور من الروايات، وبيانه أهمية الركون إلى منهج الثقلين في ذلك، وقد أطلقت على هذا الحديث عنوان «حديث الاصطفاء» استنادًا لما ورد في مقدمة الرواية سؤال المأمون للعلماء عن معنى هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

وهذا الحديث يظهر منزلته عليه السلام العلمية التي أشار إليها الأعلام في مؤلفاتهم الدالة على مقامه وعلو منزلته؛ فضلًا عن علومه التي هي امتداد لعلوم آبائه عليهم السلام، حيث قال ابن حبان (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م): ((علي بن موسى الرضا وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، من ساداتِ أهل البيت وعقلائِهم، وجلَّةِ الهاشميين ونبلائِهم، ومات بـ«طوس» من شربةٍ سقاهُ إياها

(٦) عقائد الإمامية، محمد رضا، تحقيق: عبد الكريم الكرماني، (مؤسسة الرافد، بغداد، ٢٠١١م، د.ط) ص٧٤.

المأمون، فمات من ساعته، وذلك في يوم السبت آخر يوم سنة ثلاث ومائتين، وقبره بـ«سناباذ» خارج «النوقان» مشهورٌ يُزار، بجنبِ قبر الرشيد، قد زرته مرارًا كثيرةً، وما حَلَّتْ بي شِدةٌ في وقتِ مقامي بـ«طوس» فزرتُ قبرَ علي بن موسى الرضا «صلوات الله على جده وعليه» ودعوتُ اللهَ إزالتَها عني، إلا ٱستُجيبَ لي، وزالتْ عني تلك الشدة، وهذا شيءٌ جَرَّبْته مرارًا فوجدتُهُ كذلك))[٧].

وقال الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): ((وكان من العلمِ والدينِ والسؤددِ بمكانٍ، وقد كان كبيرَ الشأنِ، أهلًا للخلافةِ))[٨]، وقال كذلك: ((علي بن موسى الرضا كبيرُ الشأنِ، له علمٌ، وبيانٌ، ووقعٌ في النفوس، صَيَّرَهُ المأمون وليَّ عهده لجلالته، فتوفي سنة ثلاث ومئتين))[٩].

وقال ٱبن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م): ((علي الرضا وهو أنبههم ذكرًا، وأجلُّهم قدرًا، ومن ثم أحلَّهُ المأمون محلَّ مهجتِهِ، وأشركَهُ في في مملكتِهِ)). [١٠]

إنَّ الحديث -موضوع البحث كما تقدم- قد تضمَّن ٱثني عشر موضعًا في بيان ٱصطفاء الله تعالى الأئمة على الأمة، وسوف أذكر في هذه الصفحات موضوع الاستشهاد منه بما يدور البحث حوله في المواضع الستة المختارة خاصة، من دون بيان

---

(٧) الثقات، محمد بن حبان، (ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م) ج٨ ص٤٥٦.

(٨) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م) ج٩ ص٣٨٨.

(٩) المصدر نفسه ج١٣ ص١٢١.

(١٠) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر، تحقيق وتعليق: عادل شوشة، (مكتبة فياض، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م) ص٥٥٦-٥٥٩.

المواضع الأخرى، ويمكن للباحثين الرجوع إليها والاطلاع عليها من مصدرها، وسيتم تقسيم البحث على الموارد الآتية:

المورد الأول: آية الإنذار.

المورد الثاني: آية التطهير.

المورد الثالث: آية المباهلة.

المورد الرابع آية البيوت قِبلة.

المورد الخامس: آية حق القربى.

المورد السادس: آية المودة.

المورد السابع: آية الصلاة على النبي.

المورد الثامن: آية الخمس.

المورد التاسع: آية أهل الذكر.

المورد العاشر: آية التحريم.

المورد الحادي عشر: آية مؤمن آل فرعون.

المورد الثاني عشر: آية الصلاة والاصطبار عليها.

حديث الاصطفاء:

عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة علماء أهل العراق وخراسان.

فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١١)؟

فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كُلَّها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة عليهم السلام.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟

فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة، لقول الله عز وجل: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾(١٢). ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾(١٣) " فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم ....

فقال المأمون: فهل فضَّل الله العترة على سائر الناس؟

فقال أبو الحسن: إنَّ الله العزيز الجبار أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه.

---

(١١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(١٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(١٣) سورة الرعد: الآية ٢٣.

فقال المأمون: وأين ذلك من كتاب الله؟

قال الرضا عليه السلام: في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾(١٤) وقال الله في موضع آخر: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾(١٥) ثم رد المخاطبة في إثر هذه إلى سائر المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(١٦) يعني الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وَحُسِدوا عليهما فقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، فالملك ههنا الطاعة لهم.

فقالت العلماء: فأخبرنا هل فسَّر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسَّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطنًا وموضعًا(١٧).

---

(١٤) سورة آل عمران: الآيتان ٣٣-٣٤.

(١٥) سورة النساء: الآية ٥٤.

(١٦) سورة النساء: الآية ٥٩.

(١٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م) ج٢ ص٢٠٩-٢١٧. وسيتم نشر الحديث كاملًا في ملحق الكتاب.

المورد الأول

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((فأول ذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[١٨] -ورهطك المخلصين- هكذا في قراءة أُبَي بن كعب، وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود، وهذه منزلة رفيعة، وفضل عظيم، وشرف عالٍ حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فَذَكَره لرسول الله صلى الله عليه وآله ....))[١٩].

إنَّ ما ورد عنه عليه السلام في هذه الآية المباركة المعروفة بـ(آية الإنذار) تؤكده مجموعة من الشواهد التفسيرية والحديثية الواردة في المصادر الإسلامية عامة.

وسوف يتم بيان ما يتعلق بذلك من خلال موردين:

*** المورد الأول: القراءة القرآنية.**

لقد ورد فيما يتعلق بهذه القراءة، أو هذه الإضافة التوضيحية للقراءة الواردة في الرواية في مصادر تفسيرية وحديثية متعددة، منها:

١ - قال مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م): ((وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ ٱبْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ

(١٨) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(١٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٠٩.

الْمُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ" حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا....))[٢٠].

٢- قال الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٣م): ((حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير عن عمرو: أنه كان يقرأ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ الْمُخْلَصِينَ))[٢١].

٣- قال القرطبي (ت٦٧١هـ/١٢٧٣): ((فِيهِ مَسْأَلَتَانِ: الْأُولَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ خَصَّ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ بِالْإِنْذَارِ، لِتَنْحَسِمَ أَطْمَاعُ سَائِرِ عَشِيرَتِهِ وَأَطْمَاعُ الْأَجَانِبِ فِي مُفَارَقَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى الشِّرْكِ. وَعَشِيرَتُهُ الْأَقْرَبُونَ قُرَيْشٌ. وَقِيلَ: بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ووَقَعَ في صَحِيحِ مُسْلِمٍ: ((وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)) وَظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ كَانَ قُرْآنًا يُتْلَى وَأَنَّهُ نُسِخَ[٢٢]، إِذْ لَمْ يَثْبُتْ نَقْلُهُ فِي الْمُصْحَفِ وَلَا تَوَاتَرَ. وَيَلْزَمُ عَلَى ثُبُوتِهِ إِشْكَالٌ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَلَّا يُنْذِرَ إِلَّا مَنْ آمَنَ مِنْ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ يُوصَفُونَ بِالْإِخْلَاصِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَفِي حُبِّ النَّبِيِّ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) لَا الْمُشْرِكُونَ؛ لأَنَّهُمْ ليسوا على شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَالنَّبِيُّ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" دَعَا عَشِيرَتَهُ كُلَّهُمْ مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، وَأَنْذَرَ

---

(٢٠) المسند الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ج١ ص١٩٣.

(٢١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م) ج١٩ ص٤٠٩.

(٢٢) وهذا إنما يمكن أنْ يكون بناءً على قول العامة في نسخ التلاوة والحكم، وهو أحد أنواع النسخ الثلاثة، ولا يخفى على المختصين ضعف ذلك وعلاقته بتحريف القرآن الكريم حاشاه من ذلك.

جَمِيعَهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ نَقْلًا وَلَا مَعْنًى))[٢٣].

٤ - قال النووي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٨م): ((﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، هُوَ بِفَتْحِ اللَّامِ [الْمُخْلَصِينَ] فَظَاهِرُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ قَوْلَهُ وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ كَانَ قُرْآنًا أُنْزِلَ ثُمَّ نُسِخَتْ))[٢٤].

إنَّ هذه الأقوال الواردة تؤكد ما جاء في رواية الإمام الرضا عليه السلام من الزيادة التوضيحية التفسيرية بقوله (ورهطك منهم المخلصين) وليس التنزيلية.

*** المورد الثاني: الشواهد التفسيرية والحديثية.**

إنَّ المتتبع للتفاسير الإسلامية وما ذكره المفسرون من روايات وأقوال يرى التأكيد على العترة الطاهرة في هذه الآية المباركة، ونذكر بعض تلك التفاسير:

١ - روى الطبري: ((قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب: لمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله «صلى الله عليه [وآله] وسلم» ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" فقال لي: يَا عَلِيُّ، إنَّ اللهَ أَمَرَنِيْ أَنْ أُنْذِرْ عَشِيْرَتِيْ الأَقْرَبِيْنَ﴾. قال: فضقتُ بذلك ذرعًا، وعرفت أنِّي متى ما أُنَادهم بهذا الأمر أَرَ منهم ما

(٢٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م) ج١٣ ص١٤٣. وينظر: معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، (دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م) ج٦ ص٤٧.

(٢٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ) ج٣ ص٨٢.

أكره، فصمَتُّ حتى جاء جبرائيل فقال: يا محمد إنك إلَّا تفعل ما تؤمر به يعذِّبك ربك. فاصنع لنا صاعًا من طعام، وٱجعل عليه رِجْل شاة، وٱملأ لنا عسًّا من لبن، ثم ٱجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به. ففعلتُ ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلًا يزيدون رجلًا أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب. فلمَّا ٱجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به. فلمَّا وضعته تناول رسول الله «صلى الله عليه [وآله] وسلم» حِذْية من اللحم[٢٥] فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة. قال: خذوا باسم الله. فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس عليٍّ بيده إنْ كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: ٱسْقِ النَّاسَ. فجِئْتُهُمْ بذلك العسِّ، فشربوا حتى رووا منه جميعًا .... ثم تكلم رسول الله «صلى الله عليه [وآله] وسلم» فقال: يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، إنِّي والله ما أعْلَمُ شابًّا فِي العَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بأفْضَلَ ممَّا جئْتُكُمْ بِهِ، إنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَقَدْ أمَرَنِي اللهُ أنْ أدْعُوكُمْ إلَيْهِ، فَأيُّكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلى هَذَا الأمْرِ، عَلى أنْ يَكُونَ أخِيْ، وكَذَا وكَذَا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعًا. وقلت وإنِّي لأحدثهم سِنًّا، وأرمصهم عينًا، وأعظمهم بطنًا، وأخمشهم ساقًا: أنا يا نبي الله أكون وزيرك. فأخذ برقبتي ثم قال: إنَّ هذا أخي، وكذا وكذا "فاسمعوا له وأطيعوا". قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أنْ تسمع لابنك وتطيع!))[٢٦].

(٢٥) أعطيته حذية من لحم، وحذة وفلذة، كل هذا إذا قطع طولًا. وقيل: هي القطعة الصغيرة.

(٢٦) جامع البيان في تفسير القرآن ج١٩ ص٤٠٩-٤١٠.

إنَّ هذه الرواية تؤكد مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه وصي رسول الله وخليفته صلى الله عليه وآله وسلم منذ الأيام الأولى للدعوة والرسالة الإسلامية، وقد أكد ذلك يوم غدير خم «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، وممَّا يحتاج التأمل في هذه الرواية هو مدى ٱعتماد النبي عليه في مشاركته بهذه الدعوة، حيث دعوة القوم والإعداد للطعام والشراب، والامتثال لما أمره الله تعالى به، ومخاطبة النبي القوم بقوله لهم: (فاسمعوا له وأطيعوا).

٢- ذكر الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب أنه قال: لمَّا نزلت هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلًا .... ثم أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل والبشير، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ثم قال: مَنْ يؤاخيني ويوآزرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني. فسكت القوم. فأعادها ثلاثًا، كُلُّ ذلك يسكت القوم ويقول علي "عليه السلام": أنا. فقال في المرة الثالثة: أنت. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب أطع ٱبنك فقد أُمِّر عليك. أورده الثعلبي في تفسيره، وروي عن أبي رافع هذه القصة وأنه جمعهم في الشِّعب فصنع لهم رجل شاة....))[٢٧].

وقد ذكر السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره (ت١٤٠٢هـ/١٩٨١م) عددًا من الروايات الواردة في الموضوع، ومنها التي تقدمت عن تفسيري الطبري والطبرسي،

(٢٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ج٧ ص٣٥٦.

وناقش بعض الموضوعات المتعلقة بها من حيث حضور قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أوصاهم به[٢٨].

إنَّ هذه الروايات المتعددة الواردة في هذين التفسيرين تؤكد ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في بيان أنَّ هذه الآية خاصة بأهل البيت عليهم السلام من دون الأمة كلها، منذ نزول الوحي في أول أيام الإسلام.

(٢٨) للتفصيل ينظر: الميزان في تفسير القرآن، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م) ج١٩ ص٣٣٣-٣٣٧.

المورد الثاني

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((والآية الثانية في الاصطفاء قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢٩]، وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلا معاند ضال؛ لأنه فضلٌ بعد طهارة تنتظر))[٣٠].

إنَّ ما ورد منه عليه السلام في هذه الآية المعروفة بـ«آية التطهير» تؤكده كثير من الشواهد التفسيرية والحديثية الواردة في أنَّ الآية المباركة تشمل (النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام) بما لا يحتاج إلى بيان لشهرتها وتواترها، نذكر منها:

١ - قال الترمذي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): ((حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، رَبِيبِ النَّبِيِّ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ" قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ))[٣١].

---

(٢٩) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٠٩.

(٣١) الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، د.ط) ج٥ ص٢٠٤ الحديث (٣٢٠٥).

إنَّ الرواية ظاهرة الحال في بيان مقام أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وخصوصيتها فيها دلالة على منزلتهم عند الله تعالى في تحقيق إرادته، وإنَّ سؤال أم سلمة أكد مدى مطابقة الآية في هؤلاء الخمسة حصرًا؛ فضلًا عمَّا ورد في الآية المباركة من أداة الحصر (إنما).

٢- عقد الطبري في تفسيره عنوانًا لما يتعلق بنزولها في حقهم فقال: ((ٱختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فقال بعضهم: عُني به رسول الله «صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم» وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم))[٣٢]. ثم ذكر (خمسة عشر حديثًا) في ذلك بأسانيد متعددة[٣٣].

وقال: ((حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي، قال: حدثنا مندل، عن الأعمش، عن عطية، عن أَبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله "صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم": نزلَت هَذِهِ الآيَةُ فِي خَمْسَةٍ: فِيَّ وَفِي عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ وَحَسَنٍ رَضِيَ الله عَنْهُ وَحُسَيْنٍ رَضِيَ الله عَنْهُ وَفَاطِمَةَ رَضِيَ الله عَنهَا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾))[٣٤].

إنَّ هذه الرواية واضحة الدلالة بما لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل أو ٱجتهادات معينة بعد أنَّ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسماء «أهل البيت» الذين خصَّتهم الرواية من جهة، وأكدت خصوصيتها بهم الآية المباركة، ولا توجد رواية واحدة قد أضافت ٱسمًا واحدًا إلى هذه الأسماء مطلقًا، وفيه بيان إلى حال «المصطفين» كما في حديث الإمام

(٣٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٠ ص٢٦٣.

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه ج٢٠ ص٢٦٣-٢٦٧.

(٣٤) المصدر نفسه ج٢٠ ص٢٦٣.

الرضا عليه السلام من ناحية الإجمال والتفصيل والتحديد والتعيين. وهل بعد هذا البيان من بيان؟! أم هل هناك قول بعد هذه القول لخاتم النبيين الذي نزل عليه القرآن المبين؟!

وقال: ((حدثني أَبو كريب، قال: جدثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أَبي سعيد الخدري، عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دعا رسول الله «صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم» عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فجلَّل عليهم كساءً خيبريًّا، فقال: اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا. قالت أم سلمة: ألست منهم؟ قال: أَنْتِ إِلَى خَيْرٍ))[٣٥].

إنَّ هذا العدد من الروايات التي ينقلها الطبري في تفسيره وفي هذا الباب تؤكد أنَّ هناك من الرواة الكثيرين الذين نقلوا هذا الحديث عن مشايخهم بأسانيدهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان مقام أهل بيته عند الله تعالى، بنص الآيات المباركة والروايات الشريفة المتعددة.

٣- وذكر السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) (أربعة عشر حديثًا) بأسانيد ومصادر كثيرة أنَّ المراد بأهل البيت هم (النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام)[٣٦].

وقال: ((وَأخرج ٱبْن جرير وَٱبْن أبي حَاتِم وَالطَّبَرَانِيِّ وَٱبْن مرْدَوَيْه عَن أم سَلمَة "رَضِي الله عَنْهَا" زوج النَّبِي «صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم»: أَن رَسُولَ اللهِ «صلى اللهُ عَلَيْهِ [وآله]وَسلم» كَانَ ببيتها على منامَةٍ لَهُ عَلَيْهِ كسَاء خيبري، فَجَاءَت فَاطِمَة "رَضِي

(٣٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٠ ص٢٦٥.

(٣٦) ينظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت) ج٦ ص٦٠٣- ٦٠٧.

اللهُ عَنْهَا" ببرمَةٍ فِيهَا خزيرَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ «صلى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسلم» ٱدعِي زَوجَكَ وٱبنَيْكِ حَسَنًا وَحُسَيْنًا فدعَتْهُم، فَبَيْنَمَا هم يَأْكُلُون إِذْ نزلَتْ على رَسُولِ اللهِ "صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم" ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فَأخذ النَّبِيُّ «صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم» بفَضْلَةِ إزارِهِ فَغَشَّاهُمْ إِيَّاهَا، ثمَّ أخرَجَ يَدَهُ مِنَ الكِسَاءِ وَأَوْمَأَ بهَا إِلَى السَّمَاءِ ثمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أهلِ بَيْتِي وخاصَّتي فَأَذْهَبْ عَنْهُم الرجسَ وطهرهُمْ تَطْهِيرًا. قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))[٣٧].

وفي حديث آخر: ((وَأخرج ٱبْن مرْدَوَيْه عَن أم سَلمَة قَالَتْ نزلَتْ هَذِه الْآيَة فِي بَيْتِي: ﴿إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وَفِي الْبَيْتِ سَبْعَةٌ جِبْرِيل وَمِيكَائِيل عليهما السلام وَعلي وَفَاطِمَة وَالْحسن وَالْحُسَيْن «رَضِي الله عَنْهُم» وَأَنا على بَاب الْبَيْت. قلت: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْتُ من أهلِ الْبَيْتِ. قَالَ: إِنَّكِ إِلَى خيرٍ، إِنَّكِ من أَزوَاج النَّبِيِّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ»))[٣٨].

إنَّ تعدد الروايات وٱختلاف الأسانيد وكثرة الأعلام والمؤلفات شاهدة على الاطمئنان بهذه الأحاديث التي تؤكد منزلة أهل البيت عليهم السلام، فالرواية الأولى قد عينت أسماء المراد من «أهل البيت» في الآية المباركة بما لا شك فيه، كما تقدم في تفسير الطبري. والرواية الأخرى عن ٱبن مردويه الأخيرة ظاهرة في التفريق بين أهل البيت عليهم السلام ونساء النبي، فكُلٌّ منهم له منزلته وأحكامه، والآية خاصة في أهل البيت عليهم السلام دون النساء، فنتأمل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادح بالحق: ((قَالَ: إِنَّك إِلَى خيرٍ، إِنَّكَ من أَزوَاج النَّبِيِّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ»)).

---

(٣٧) الدر الماثور في التفسير بالمأثور ج٦ ص٦٠٣.

(٣٨) المصدر نفسه ج٦ ص٦٠٤.

ومما ورد في تفصيل ذلك عن تفاسير وروايات الخاصة في الآية المباركة وأنَّ الآية خاصة في أهل البيت عليهم السلام، ولا علاقة لها بنسائه، والرد على القائلين بذلك، فقد ذكر الشيخ علي بن إبراهيم القمي (ت ق٤هـ) في تفسيره: ((عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم ألبسهم كساءً خيبريًّا ودخل معهم فيه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا. نزلت هذه الآية. فقالت: أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله.

قال أبشري يا أم سلمة إنك إلى خير. وقال أبو الجارود قال زيد بن علي بن الحسين عليه السلام إنَّ جُهَّالًا من الناس يزعمون إنما أراد بهذه الآية أزواج النبي. وقد كذبوا وأتموا، لو عنى بها أزواج النبي لقال: ليذهب عنكنَّ الرجس ويطهركنَّ تطهيرًا، ولكان الكلام مؤنَّثا كما قال وٱذكرن ما يتلى في بيوتكن، ولا تبرجن، ولستن كأحد من النساء))[٣٩].

ولا يخفى أنَّ هذه الآية بما تضمنته من ألفاظ لها معانٍ عظيمةٍ (الإرادة الإلهية، ليذهب الرجس، ويطهرهم تطهيرًا) فيها دلالات على تنزيههم وعصمتهم، وعلو مقامهم الذي أراده الله تعالى لهم، وتعدُّ هذه الآية المباركة أهم دليل على ذلك، قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((وٱستدلَّ أصحابنا بهذه الآية على أنَّ في جملة

(٣٩) تفسير القمي، تحقيق وتعليق: السيد طيب الجزائري، (مؤسسة دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ) ج٢ ص١٩٣.

أهل البيت معصومًا لا يجوز عليه الغلط، وأنَّ إجماعهم لا يكون إلا صوابًا، بأنْ قالوا ليس يخلو إرادة الله لإذهاب الرجس عن أهل البيت من أنْ يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات وٱجتناب المعاصي، أو يكون عبارة عن أنه أذهب عنهم الرجس بأنْ فعل لهم لطفًا ٱختاروا عنده الامتناع من القبائح .... فدلَّ ذلك على أنَّ إذهاب الرجس قد حصل فيهم، وذلك يدل على عصمتهم، وإذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه))[٤٠].

وناقش الشيخ الطبرسي قدس سره إجمالًا ما يتعلق بالآية المباركة بعد ذكره أحاديث متعددة ما يتعلق بخصوص الآية في أهل البيت عليهم السلام من جهة، وعلى تنزيههم وعصمتهم من جهة ثانية، وعلى أنَّ ورودها ضمن آيات تتعلق بنساء النبي لا علاقة له بهنَّ من جهة ثالثة فقال: ((والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة والخاصة، لو قصدنا إلى إيرادها لطال الكتاب، وفيما أوردناه كفاية، وٱستدلت الشيعة على ٱختصاص الآية بهؤلاء الخمسة عليهم السلام، بأنْ قالوا: إنَّ لفظة ﴿إِنَّمَا﴾ محققة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت، فإنَّ قول القائل: إنما لك عندي درهم، وإنما في الدار زيد يقتضي أنه ليس عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد. وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أنْ تكون هي الإرادة المحضة، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس. ولا يجوز الوجه الأول؛ لأنَّ الله تعالى قد أراد من كُلِّ مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا ٱختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق؛ ولأنَّ هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة، ولا مدح في الإرادة المجردة فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح. وقد علمنا أنَّ مَنْ عدا

---

(٤٠) التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ) ج٨ ص٣٤٨.

مَنْ ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أنَّ الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم. ومتى قيل: إنَّ صدر الآية وما بعدها في الأزواج. فالقول فيه: إنَّ هذا لا ينكره مَنْ عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره و يعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوءٌ، وكذلك كلام العرب وأشعارهم))[٤١].

إنَّ هذه الروايات والأقوال الواردة فيها تؤكد ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في بيان أنَّ هذه الآية خاصة بأهل البيت عليهم السلام من دون الأمة كلها، وأنها منقبة لا يشاركهم بها أحد من المسلمين، وقد تواترت فيهم.

(٤١) مجمع البيان في تفسير القرآن ج٨ ص١٥٧-١٥٨.

المورد الثالث

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((والآية الثالثة حين ميَّز الله الطاهرين من خلقه فأمر نبيَّه بالمباهلة بهم في آية الابتهال، فقال عز وجل يا محمد: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٤٢] فبرَّز النبي صلى الله عليه وآله عليًّا والحسن والحسين وفاطمة (صلوات الله عليه)، وقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنى قوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾؟

قالت العلماء: عنى به نفسه.

فقال أبو الحسن عليه السلام: لقد غلطتم. إنَّما عنى به عليًّا عليه السلام، ومما يدلُّ على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله حين قال: لينتهينَّ بنو وليعة[٤٣]، أو لأبعثنَّ إليهم رجلًا كنفسي، يعني علي بن أبي طالب عليه السلام، وعنى بالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام، وعنى بالنساء فاطمة عليها السلام، فهذه خصوصية لا يتقدمهم فيها أحَدٌ، وفضلٌ لا يلحقهم فيه بشرٌ، وشرفٌ لا يسبقهم إليه خلقٌ، إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه ...))[٤٤].

(٤٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٤٣) وليعة: حي من كندة.

(٤٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٠٩-٢١٠.

إنَّ ما ورد عنه عليه السلام في هذه الآية المعروفة بـ«آية المباهلة» أو «آية الابتهال» كما في الرواية تؤكده كثير من الشواهد التفسيرية والحديثية الواردة في أنَّ الآية المباركة تبيِّن أنَّ الله تعالى أمر نبيه أنْ يدعو معه في مباهلة النصارى (عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام)، وأنها تؤكد صراحة أنَّ علي بن أبي طالب هو نفس رسول الله، نذكر منها:

١ - قال الطبري: ((حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن زيد بن علي في قوله: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية، قال: كان النبيُّ «صلى الله عليه [وآله] وسلم» وعليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ))[٤٥].

وروى: ((حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الآية، فأخذ -يعني النبي «صلى الله عليه [وآله] وسلم»- بيد الحسن والحسين وفاطمة، وقال لعلي: اتبعنا. فخرجَ معهم، فلم يخرج يومئذ النصارَى، وقالوا: إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي «صلى الله عليه [وآله] وسلم»، وليس دعوة النبي كغيرها ....))[٤٦].

فهذه بعض الروايات التي أوردها الطبري بإسناده التي تذكر الذين خرج بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصداقًا لأمر الله تعالى (أبناءنا، ونساءنا، وأنفسنا)، ولكن الغريب أنه يروي في بعض أسانيده من غير أنْ يكون معهم علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا نعلم هل هذا سهو من الراوي؟ أم من الكُتَّاب؟ أم لأجل غايات أخرى؟!

(٤٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٤٨٠.

(٤٦) المصدر نفسه ج٦ ص٤٨١.

٢- قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): ((إنهم [النصارى] لمَّا دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر. فلمَّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: واللـهِ لقد عرفتم يا معشر النصارى أنَّ محمدًا نبيٌّ مرسلٌ، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، واللـهِ ما باهَلَ قومٌ نبيًّا قط فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكنَّ فإنْ أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتى رسول الله «صلى الله عليه [وآله] وسلم» وقد غَدَا محتضنًا الحسين، آخذًا بيد الحسن، وفاطمة تمشي، وعليٌّ خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوتُ فأمِّنوا. فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إنِّي لأرى وجوهًا لو شاء الله أنْ يزيل جبلًا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا : يا أبا القاسم رأينا أنْ لا نباهلك، وأنْ نقرَّك على دينك، ونثبت على ديننا ....))[٤٧].

وذكر الزمخشري حديثًا آخر عن السيدة عائشة: ((أنَّ رسولَ اللـهِ «صلى الله عليه [وآله] وسلم» خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم علي، ثم قال: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾))[٤٨].

ثم قال الزمخشري معقِّبًا على خروج النبي بأهل بيته إلى المباهلة بما يستدل به على مقامهم ومنزلتهم: ((فإنْ قلتَ: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبيَّن الكاذب منه

---

(٤٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ) ج١ ص٣٦٨.

(٤٨) المصدر نفسه ج١ ص٣٦٩.

ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟ قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله، وآستيقانه بصدقه، حيث آستجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إنْ تمت المباهلة. وخَصَّ الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه، وحارب دونهم حتى يقتل. ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق، وقدَّمهم في الذكر على الأنفس لينبِّه على لطف مكانهم، وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدَّمون على الأنفس مفدونَ بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي «صلى الله عليه [وآله] وسلم»؛ لأنه لم يروِ أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك))[٤٩].

إنَّ الرواية الواردة ظاهرة التخصيص في أهل البيت عليهم السلام، وأنهم مصداق الآية المباركة بما لا يقبل الشك في فضلهم وآختصاصهم بذلك من دون الأمة كلها، وآعتراف النصارى بهذا الفضل الظاهر فيهم بما لا يدانيهم أحد، وأنَّ آستدلال الزمخشري على فضل أصحاب الكساء هو في محله، بل هو الحق الذي يأتيه الباطل؛ لذلك كان آستدلال الإمام الرضا عليه السلام من قبل في حديثه الشريف يورث الإيمان والاطمئنان بذلك المقام الإلهي الذي لا يشاركهم فيه أحد.

٣- قال الشيخ الطبرسي بأسانيد مختلفة: ((عن آبن عباس وقتادة والحسن فلمَّا دعاهم رسول الله إلى المباهلة آستنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك، فلمَّا رجعوا إلى

(٤٩) تفسير الكشاف ج١ ص٣٦٩.

رجالهم قال لهم الأسقف: ٱنظروا محمدًا في غدٍ، فإنْ غَدَا بولده و أهله فاحذروا مباهلته، و إنْ غَدَا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء. فلمَّا كان الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخذًا بيد علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام بين يديه يمشيان وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل بمن معه، سأل عنهم فقيل له هذا ٱبن عمه وزوج ٱبنته وأحب الخلق إليه، وهذان ٱبنا بنته من علي عليه السلام، وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه، وتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجثا على ركبتيه. قال أبو حارثة الأسقف: جثا و الله كما جثا الأنبياء للمباهلة .... وروي أنَّ الأسقف قال لهم: إني لأرى وجوهًا لو سألوا الله أنْ يزيل جبلًا من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. وقال النبي: والذي نفسي بيده لو لا عنوني لمسخوا قردة و خنازير، ولاضطرم الوادي عليهم نارًا، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم))[٥٠].

إنَّ رواية شيخنا الطبرسي قدس سره فيها صور توثيقية متعددة للرواية، وكيفية ٱجتماع النبي وقومه، والنصارى وقومهم إلى ذلك الموعد في يوم المباهلة، والهيأة الدقيقة التي أتى عليها النبي وأهل بيته عليهم السلام، وهيأة النصارى وما رأوه في أهل البيت من آثار إلهية ظاهرة عليهم، تؤكد مقامهم العظيم عند الله تعالى، وكُلُّ ذلك يؤكد شهرة كونهم المصداق الوحيد للآية المباركة، وإنَّ هذه الروايات المتعددة ظاهرة البيان في معنى الاصطفاء الإلهي لأهل البيت عليهم السلام بما لا يخفى على المسلمين وغيرهم، بل فيها

(٥٠) مجمع البيان في تفسير القرآن ج٣ ص٣٠٩-٣١٠.

دلالات على إمامتهم وخلافتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكر الأعلام ذلك في مؤلفاتهم الكلامية وغيرها.

ومما ذكره الشيخ الطوسي في ٱستدلاله بالآية المباركة على علو مقامهم ومنزلتهم التي لا يدانيه أحد عند تفسيره للآية المباركة، فقال: ((وٱستدلَّ أصحابنا بهذه الآية على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل الصحابة من وجهين: أحدهما: إنَّ موضوع المباهلة ليتميَّز المحق من المبطل، وذلك لا يصح أنْ يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن، مقطوعًا على صحة عقيدته، أفضل الناس عند الله. والثاني: إنه صلى الله عليه وآله جعله مثل نفسه بقوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾؛ لأنه أراد بقوله: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام بلا خلاف، وبقوله: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ فاطمة عليها السلام، وبقوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ أراد به نفسه ونفس علي عليه السلام؛ لأنه لم يحضر غيرهما بلا خلاف، وإذا جعله مثل نفسه وجب ألا يدانيه أحد في الفضل ولا يقاربه))[٥١].

وإنَّ السيد الطباطبائي قدس سره قد أورد ببحث مفصَّل ودقيق جمعًا من الروايات المتعلقة بالمباهلة من مصادرها وأسانيدها المختلفة الدالة على توترها وٱشتهارها بين المسلمين، والإجابة على بعض الإشكالات التي يحاول بعضهم وضعها على الواقعة؛ ليدفع هذه المنقبة المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام[٥٢].

إنَّ كُلَّ ما تقدم يؤكد ما ٱستشهد به الإمام الرضا عليه السلام على القوم في ٱصطفاء الله تعالى أهل البيت على الأمة كُلِّها، وبيان لمقامهم عند الله تعالى من خلال كتابه.

---

(٥١) التبيان في تفسير القرآن ج٢ ص٤٨٥.

(٥٢) الميزان في تفسير القرآن ج٣ ص٢٦٤-٢٨١.

المورد الرابع

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وأما الرابعة: فإخراجُهُ الناسَ من مسجدِه ما خلا العترةَ حينَ تكلَّمَ الناسُ في ذلكَ، وتكلَّمَ العباسُ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ تركْتَ عليًّا وأخرجْتَنا[٥٣]؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنَا تركْتُهُ وأخرجْتُكُمْ، ولكِنَّ اللهَ تَرَكَهُ وأخرَجَكُمْ.

وفي هذا بيان قوله لعليٍّ عليه السلام: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُوْنَ مِنْ مُوْسَى.

قالت العلماء: فأينَ هَذا مِنَ القرآنِ؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أوجدُكُمْ في ذلكَ قرآنًا أقرؤهُ عليكُمْ.

قالوا: هات.

قال عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[٥٤] ففي هذهِ الآيةِ منزلةُ هارونَ من موسى، وفيها أيضًا منزلةُ عليٍّ عليه السلام عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، ومعَ هذا دليلٌ ظاهِرٌ في قولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله حينَ قالَ: إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يَحِلُّ لِجُنُبٍ وَلَا لِحَائِضٍ إِلَّا لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

---

(٥٣) وفي رواية أنَّ الذي تكلَّم في ذلك عم النبي الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام.

(٥٤) سورة يونس: الآية ٨٧.

فقالت العلماء: هذا الشرحُ وهذا البيانُ لا يوجَدُ إلا عندَكُمْ معشَرَ أهلِ بيتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ؟

قال أبو الحسن عليه السلام : ومَنْ ينكُرُ لنا ذلكَ، ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يقول: أَنَا مَدِيْنَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ مَدِيْنَةَ الْعِلْمِ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا ....))[٥٥].

إنَّ ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في هذه الرواية التفسيرية الشريفة للآية المباركة تؤكده مجموعة من الشواهد التفسيرية والحديثية الواردة في المصادر الإسلامية عامة، ويمكن بيان مدى موافقة تلك الشواهد مع الرواية الرضوية بإيجاز من خلال ما يأتي، والذي يؤكد قول الإمام الرضا عليه السلام في الاصطفاء الإلهي لآل محمد عليهم السلام ، وهذا ما ورد في بعض التفاسير صراحَةً أو تلميحًا.

١ – قال الشيخ محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٢م): ((عن أبي رافع قال : إنَّ رسولَ اللهِ "صلى الله عليه وآله" خطبَ الناسَ فقال: أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ اللهَ أمرَ موسى وهارونَ أنْ يَبْنِيَا لقومِهما بمصرَ بيوتًا، وأمرَهُما أنْ لا يبيتَ في مسجدِهما جُنُبٌ، ولا يقرَبَ فيهِ النساءُ إلا هارونَ وذريتُهُ، وأَنَّ عَلِيًّا مِنِّيْ بِمَنْزِلَةِ هَارُوْنَ وَذُرِّيتِهِ مِنْ مُوْسَى، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَبَ النِّسَاءَ فِيْ مَسْجِدِيْ، وَلَا يَبِيْتُ فِيْهِ جُنُبًا إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُهُ، فَمَنْ سَاءَهُ ذَلِكَ فَهَا هُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامَ))[٥٦].

---

(٥٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٠٩.

(٥٦) تفسير العياشي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية لمؤسسة البعثة، (مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤٢١هـ) ج٢ ص٢٨٤ ، وينظر: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م) ج٤ ص٤٣-٤٥.

إنَّ هذه الرواية التفسيرية تبيِّن أسباب نزول الآية المباركة وتشريعات الله تعالى، بأنْ يُجعل بيت نبيه موسى ووصيه هارون عليهما السلام قِبلةً لأتباعهما في الصلاة، على ٱختلاف ما ورد عن المفسرين من أقوال في (القِبلة)(٥٧) من جهة، وبيان بعض الأحكام الشرعية المترتبة على هذا الجعل من جهة أخرى، وتأكيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المقاربة بين (بيتي موسى وهارون ومسجده المبارك)، والأحكام المتعلقة به من حيث الطهارة وعدمها، وأنْ يختص الدخول أو المكوث فيه إلا (لنفسه ووصيه وذريته)، وفي ذلك كمال الاصطفاء الإلهي لآل محمد (صلوات الله عليهم)، وتتضمَّن الرواية وجود ٱعتراضات من قبل آخرين من المسلمين لهذا الحكم، وإنْ لم يتم بيان ذلك تصريحًا، ولكن يفاد ذلك من قوله (فمن ساءه ذلك فها هنا)، وفي ذلك حكمة بالغة ليعلن النبي لهم أنَّ هذا هو من عند الله تعالى، وأنه حكم الله عز وجل في اختيار بقاء بيت الإمام علي عليه السلام خاصة من دون غيره، وأنه بمنزلة هارون من دون أي شك.

٢- قال السيوطي (ت٩٩١هـ/١٥٠٥م) عند ذكره للروايات الواردة في تفسير الآية المباركة: ((وأخرج ٱبن عساكر عن أبي رافع رضي الله عنه: ((إنَّ النبيَّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" خَطَبَ فَقَالَ : إِنَّ اللهَ أَمَرَ مُوْسَى وَهَارُوْنَ أَنْ يَتَبَوَّءَا لِقَوْمِهِمَا بُيُوْتًا، وَأَمَرَهُمَا أَنْ لَا يَبِيْتَ فِيْ مَسْجِدِهِمَا جُنُبٌ، وَلَا يَقْرَبُوْا فِيْهِ النِّسَاءَ إِلَّا هَارُوْنُ وَذُرِّيَتُهُ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرُبَ النِّسَاءَ فِيْ مَسْجِدِيْ هَذَا، وَلَا يَبِيْتُ فِيْهِ جُنُبٌ إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَتُهُ))(٥٨).

(٥٧) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن ج١٥ ص١٧٢- ١٧٦ ، مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، (بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ج٥ ص٢١٩-٢٢٠.

(٥٨) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت) ج٤ ص٣٨٣.

إنَّ السيوطي وهو من مفسري العامة المشهورين في عرضه للروايات الواردة في تفسير الآية المباركة قد ذكر (روايات سبع)، فكانت إحداهنَّ هذه الرواية بسنده الخاص عن أبي رافع إحدى الروايات التفسيرية للآية المباركة، والتي قد تقدَّمت في تفسير العياشي مع ٱختلاف يسير جدًّا بينهما، وقد ٱختصت بتفصيل سبب النزول، من دون غيرها من الروايات الأخرى التي أكدت على المراد من (القِبلة) وكيفية جعل تلك البيوت قِبلة، وفي ذلك دلالة على ورودها في المصادر الحديثية والتفسيرية العامة، وأنَّ الرواة والمختصين في نقل الحديث يعرفون ذلك ويروونه في مؤلفاتهم.

٣- قال الشيخ الفيض الكاشاني (ت١٠٩١/١٦٨٠م): ((في العلل[٥٩]، والعياشي: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .... [إلى آخر الحديث المتقدم]))[٦٠].

٤- قال الشيخ عبد الحسين الحويزي (ت١١١٢/١٧٠٠م): ((في كتاب علل الشرائع بإسناده إلى أبي رافع قال.... [إلى آخر الحديث المتقدم]))[٦١].

إنَّ ذكر الرواية التفسيرية المتقدمة نفسها في تفسيرَي الفيض الكاشاني والحويزي وغيرهما من التفاسير التي ٱعتمدت منهج التفسير بالمأثور يدل على عدم وجود غيرها من الروايات بسند آخر، وأنَّ أول مصدر لها هو تفسير العياشي الذي بين

---

(٥٩) ينظر: علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، (المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م، د.ط) ج١ ص٢٠١-٢٠٢. باب (١٥٤ العلة التي من أجلها سد رسول الله صلى الله عليه وآله الأبواب كلها إلى المسجد، وترك باب علي عليه السلام) الحديث ٣.

(٦٠) التفسير الصافي، المولى محمد مرتضى الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، (مؤسسة الهادي، قم، ط٢، ١٤١٦هـ) ج٢ ص٤١٤-٤١٥.

(٦١) تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (مؤسسة إسماعليان، قم، ط٤، ١٤١٢هـ) ج١ ص٣١٥.

أيدينا من التفاسير المطبوعة، وقد ٱعتمدها كُلُّ مَنْ أتــى بعــده كالــشيخ الــصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م) في كتابه علل الشرائع وغيره من المؤلفين والمفسرين.

ومما تقدَّم تبيَّن أنَّ ٱستشهاد الإمام الرضا عليه السلام بهذه الآية المباركة فيها دلالــة وبيان واضح على العلاقة الوثيقة بين (النبي محمد ووصيه علي عليهما السلام)، كما كانــت العلاقة الوثيقة بين (النبي موسى ووصيه هارون عليهما السلام) والروايات التفسيرية المتقدمة قد أكدت ذلك صراحة.

وإنَّ هذا الاصطفاء من الله تعالى تؤكده السُّنَّة الشريفة في مواقف متعددة، ومن أهمها ما قام به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سَدِّ أبواب بيوت أقاربه وصحابته إلا باب وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وبيانه أسباب عدم سَدِّ هذا الباب من دون غيره مــن الأبــواب، والروايات في ذلك كثيرة نذكر بإيجاز بعضهًا؛ لبيان مقامهم (صلوات الله عليهم) وآثار ذلك في ٱصطفائهم.

- روى ٱبن المغازلي الشافعي (ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م) الرواية بتفاصيل أخرى بسنده عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: ((لمَّا قَدِمَ أصحَابُ النبيِّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" المدينةَ لم يكُنْ لهم بيوتٌ يبيتونَ فيها، فكانوا يبيتونَ في المسجدِ، فقالَ لهم النبيُّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم": ((لَا تَبِيْتُوْا فِيْ الْمَسْجِدِ فَتَحْتَلِمُوْا)). ثُــمَّ إنَّ القومَ بَنُوا بيوتًا حولَ المسجدِ وجعَلُوا أبوابَها إلى المسجدِ، وإنَّ النبيَّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" بعثَ إليهِمْ معاذُ بنُ جبل فنادَى أبا بكرٍ فقالَ: إنَّ رسولَ اللــهِ يأمرُكَ أنْ تخرجَ من المسجدِ. فقالَ: سمعًا وطاعَةً، فسَدَّ بابَهُ وخرجَ من المسجدِ. ثم أرسلَ إلى عمر فقالَ: إنَّ رسولَ اللــهِ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" يأمرُكَ أنْ تَسُدَّ بابَكَ الذي في المسجدِ وتخرجَ منه. فقالَ: سمعًا وطاعَةً للــهِ ولرسولِهِ غيرَ أنِّي أرغَبُ إلى اللــهِ في

خوخَةٍ في المسجدِ، فأبلَغَهُ معَاذُ ما قالَ عمر! ثم أرسلَ إلى عثمانَ وعندَهُ رقيَّةٌ فقالَ: سمعًا وطاعَةً، فَسَدَّ بابَهُ وخرجَ من المسجدِ. ثم أرسلَ إلى حمزةَ فَسَدَّ بابَهُ وقال: سمعًا وطاعَةً للهِ ورسولِهِ. وعليٌّ على ذلكَ يتردَّدُ لا يدري أهوَ فيمَنْ يقيمُ أو فيمَنْ يخرجُ. وكانَ النبيُّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" قد بنى له بيتًا في المسجدِ بينَ أبياتِهِ، فقالَ له النبيُّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم": ((اُسْكُنْ طَاهِرًا مُطَهَّرًا)). فبلغَ حمزةَ قولُ النبيِّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" لعليٍّ فقال: يا محمد تُخْرِجُنا وتُمْسِكُ غلمانَ بني عبدِ المطلب؟ فقالَ له نبيُّ اللهِ: ((لَا، لَوْ كَانَ الْأَمْرُ لِيْ مَا جَعَلْتُ مِنْ دُوْنِكُمْ مِنْ أَحَدٍ، واللهُ مَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ إِلَّا اللهُ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ مِنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ، أَبْشِرْ))، فبشَّرَهُ النبيِّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" فَقُتِلَ يومَ أحدٍ شهيدًا. ونفسُ ذلكَ رجالٌ على عليٍّ فَوَجَدوا[٦٢] في أنفسِهِم، وتبيَّنَ فضلَهُ عليهِم وعلى غيرهِم من أصحابِ النبيِّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم"، فبلغَ ذلكَ النبيَّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" فقامَ خطيبًا فقالَ: ((إِنَّ رِجَالًا يَجِدُوْنَ فِيْ أَنْفُسِهِمْ فِيْ أَنِّيْ أَسْكَنْتُ عَلِيًّا فِيْ الْمَسْجِدِ، وَاللهُ مَا أَخْرَجْتُهُمْ وَلَا أَسْكَنْتُهُ! إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوْسَى وَأَخِيْهِ: ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ﴾، وَأَمَرَ مُوْسَى أَنْ لَا يَسْكُنَ مَسْجِدَهُ، وَلَا يَنْكِحَ فِيْهِ، وَلَا يَدْخُلَهُ إِلَّا هَارُوْنَ وَذُرِّيَّتَهُ، وَأَنَّ عَلِيًّا مِنِّيْ بِمَنْزِلَةِ هَارُوْنَ مِنْ مُوْسَى، وَهُوَ أَخِيْ دُوْنَ أَهْلِيْ، وَلَا يَحِلُّ مَسْجِدِيْ لِأَحَدٍ يَنْكَحُ فِيْهِ النِّسَاءَ إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُهُ، فَمَنْ سَاءَهُ فَهَا هُنَا، وأومأ بيده نحو الشام))[٦٣].

---

(٦٢) الوَجْدُ: أي الحزن. ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم بن منظور، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ) مادة (وجد).

(٦٣) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي بن محمد، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، (دار الآثار، صنعاء، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م) ج١ ص٣٢٢.

وهذه الرواية بتفصيلها تؤكد الأمر الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب تبليغ قومه بسدِّ جميع الأبواب إلا باب وصيه الإمام علي عليه السلام، وتظهر الأجواء العامة للمسلمين في تلقِّي هذا الخبر من النبي، وما ظهر من بعضهم علانية، والرواية في الوقت نفسه تؤكد أنَّ النبي لم يقم بذلك من تلقاء نفسه تجاه أهل بيته وأصحابه، وإنما هو تبليغ إلهي.

وروى ٱبن المغازلي كذلك بسندٍ ثانٍ أنَّ رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" قال: ((سُدُّوْا الْأَبْوَابَ غَيْرَ بَابِ عَلِيٍّ)). قال: فتكلَّم في ذلك ناسٌ. قال: فقام رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أَمَّا بَعْدُ فإنِّي أمرتُ بِسَدِّ هذهِ الأبوابَ غيرَ بابِ عليٍّ فقالَ فيهِ قائِلُكُم، وإنِّي واللهِ ما سَدَدْتُ شيئًا ولا فتحتُهُ، ولكنِّي أُمِرْتُ بشيءٍ فاتَّبَعْتُهُ))[٦٤].

وذكر بسندٍ ثالثٍ عن رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم": ((إنَّ اللهَ عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام أَنِ ٱبْنِ مسجدًا طاهرًا لا يكونُ فيهِ غيرَ موسى وهارون، وٱبْنَيْ هارون شُبَّر وشُبَير، وإنَّ اللهَ أمرني أن ٱبْنِ مسجدًا طاهرًا لا يكونُ فيه غيري، وغير أخي علي، وغير ٱبني الحسن والحسين عليهما السلام))[٦٥].

وقد ذكرت الرواية كاملة بطولها ليطَّلع الباحث على الأجواء العامة والخاصة للتبليغ الإلهي من قبل النبي إلى أهل بيته وأصحابه، ومدى ٱستعداد نفوسهم لاستقبال هذا الخبر في سد أبوابهم جميعًا، فضلًا عن مواقفهم الخاصة.

(٦٤) المصدر نفسه ج١ ص٣٢٤.

وقد ذكر ذلك بأسانيد متعددة في (سبع) روايات تتعلق بحديث (سد الأبواب) تحت عنوان (باب حديث سد الأبواب). ينظر: ج١ ص٣٢٢-٣٣١.

(٦٥) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج١ ص٣٢٦.

وحديث المنزلة من الأحاديث المتواترة بين المسلمين، وقد ذكرتها الموسوعات الحديثية في كتب الخاصة والعامة بما لا شبهة في تواتره[٦٦].

(٦٦) ينظر على سبيل المثال: الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ، د.مط) ج٨ ص٢٦ الحديث ٤ و ج٨ ص١٠٧ الحديث ٨٠ ، معاني الأخبار، الشيخ محمد بن علي الصدوق، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ، د.ط) ص٥٧ (باب معاني أسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام) الحديث ٥ ، و ص٧٤ (باب معنى قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) الحديث ١، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ج٤ ص١٨٧٠ (باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الحديث ٢٤٠٤ ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (الناشر: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، د.م) ج٥ ص١٩ (باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه) الحديث ٣٧٠٦ ، و ج٦ ص٣ (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة) الحديث ٤٤١٦ ، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج١ ص٧٢-٨٣ فقد ذكر (سبع عشرة) رواية بأسانيده المختلفة.

المورد الخامس

قال الإمام الرضا عليه السلام : ((وأما الخامسة: فقول الله عز وجل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[٦٧] خصوصية خصَّهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة.

فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا لي فاطمة، فدعوها له.

فقال: يا فاطمة.

قالت: لبيك يا رسول الله.

فقال: إنَّ فدك لم يوجَفْ عليها بخيلٍ ولا ركابٍ، وهي لي خاصَّةٌ دونَ المسلمينَ، وقد جعلتُها لكِ لما أمرني الله به، فخذيها لك ولولدك. فهذه الخامسة))[٦٨].

إنَّ ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في أمر (فدك) التي أنحلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام قد ورد تأكيده في تفاسير المسلمين، فضلًا عن الروايات الواردة بذلك، ويؤكد ذلك الروايات التفسيرية الرضوية المتقدمة حول الاصطفاء الإلهي لآل محمد عليهم السلام .

١ – قال الطبري: ((اختلفَ أهلُ التأويلِ في المعنِيِّ بقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فقالَ بعضُهُم: عَنى به قرابَةَ الميتِ مِنْ قِبَلِ أبيهِ وأمهِ، أمرَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ عبادَهُ بِصِلَتِها. (ذِكْرُ

(٦٧) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(٦٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢١١.

مَنْ قالَ ذلِكَ): حدثنا عمران بن موسى .... وقالَ آخرونَ: بَلْ عَنى بهِ قرابَةَ رسولِ اللـهِ "صلى الله عليه [وآله] وسلم"، (ذِكْرُ مَنْ قالَ ذلِكَ): حدثني محمد بن عمارة الأسدي .... عن السُّديِّ، عن أبي الديلم، قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجُلٍ مِـنْ أهـلِ الشامِ: أقرأتَ القرآنَ؟ قال: نعم. قال: أفَمَا قرأتَ في بني إسرائيلَ ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَـى حَقَّهُ﴾. قال: وإنَّكُمْ لَلْقَرابَةُ التي أمرَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ أنْ يُؤْتَى حَقَّهُ. قال: نعم))[٦٩].

إنَّ الروايات التفسيرية وإن آختلفت في بيانها وأسانيدها المتعددة، ولكنها لا يمكن أنْ تمحي بيانها لمقام آل محمد في الشريعة المقدسـة، والحقـوق الواجبـة تجاههم؛ لاستفاضة الروايات في ذلك من جهة، وتأكيد القرآن الكريم عليهم من جهة ثانية، فالقربى في الآية الشريفة هم القربى أنفسهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٧٠]، وإنها لحقيقة ثابتة وإنْ حاول بعـض إخفاؤهـا، أو إبعادها عن أهل البيت عليهم السلام، وقد أشار إلى ذلـك مفـسرو العامـة في تفاسـيرهم المختلفة، فقد روى الزمخشري: ((وقيل: أراد بذي القربى أقرباء رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم))[٧١]، وروى الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١١٥٣م): ((آعلم أنَّ هذا هو النوع الرابع من أعمال الخير والطاعة المذكورة في هذه الآيات وفيه مسائل: المسألة الأولى: قوله: ﴿وَءاتِ﴾ خطاب مع مَنْ؟ فيه قولان: القول الأول: إنه خطاب للرسول "صلى الله عليه [وآله] وسلم" فأمره الله أنْ يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهـم في

(٦٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، تحقيق وتعليق: محمود محمـد شـاكر، (دار آبن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م) ج١٧ ص٤٢٦.

(٧٠) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٧١) تفسير الكشاف ج٢ ص٦٦١.

الفيء والغنيمة، وأوجب عليه أيضًا إخراج حق المساكين وأبناء السبيل أيضًا من هذين المثالين))[٧٢].

فهذه التفاسير المتقدمة الثلاثة من أهم المصادر التفسيرية عن العامة، والتي يرجع إليها المسلمون عامة، والباحثون خاصة منذ مئات السنين.

٢- قال الشيخ محمد بن مسعود العياشي: ((عن أبان بن تغلب قال: قلتُ لأبي عبدِ اللهِ عليه السلام: كانَ رسولُ اللهِ أعطَى فاطمةَ فَدَكًا. قال: كانَ وقَفَها، فأنزل الله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فأعطاها رسولُ اللهِ حقَّها، قلت: رسول الله "صلى الله عليه وآله" أعطاها ؟ قال: بل الله أعطاها))[٧٣].

إنَّ التأمل في هذه الرواية التفسيرية يرى مدى آعتناء الراوي بالأمر حيث يريد التأكُّد على أنَّ ما قام به النبي من عطاء لابنته هل يُحتمل فيه العاطفة والأبوة، ومدى دقة جواب الإمام الصادق عليه السلام في ذلك حيث التأكيد على أنَّ الأمر هو متعلق بالله تعالى، وأنَّ النبي لا يقوم بأمر إلا من عند الله (بل الله أعطاها)، وفيه بيان على تأكيد المظلومية التي لحقت بحقوق السيدة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها من جهة، ومخالفة تعاليم الشريعة المقدسة في أمر ثابت معلوم مشهور من جهة أخرى.

وقد ذكر العياشي في ذلك روايات ست تؤكد إعطاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام فدكًا[٧٤].

---

(٧٢) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ).

(٧٣) تفسير العياشي ج٣ ص٤٥.

(٧٤) ينظر: المصدر نفسه ج٣ ص٤٥-٤٦.

وبقي موضوع فدك من الموضوعات التي يتنازع عليها الحُكَّام الذين خلفوا الأوائل، وهناك روايات قد فصَّلت حدود فدك الجغرافية وبيان مساحتها، فضلًا عن بيان أنها من حقوق آل محمد، فقد روى شيخنا الكليني قدس سره عن علي بن أسباط قال: ((لمَّا ورد أبو الحسن موسى [الكاظم] عليه السلام على المهدي رآه يردُّ المظالم. فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا تردُّ؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إنَّ الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها، لم يوجِفْ عليه بخيلٍ ولا ركابٍ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فلم يَدْرِ رسول الله صلى الله عليه وآله مَنْ هم، فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل عليه السلام ربه، فأوحى الله إليه أنِ ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة إنَّ الله أمرني أنْ أدفع إليكِ فدك. فقالت: قد قبلتُ يا رسول الله مِنَ اللهِ ومنكَ ....))[٧٥].

وقد فصَّل الأعلام في مؤلفات خاصة وفي مؤلفات عامة ما يتعلق بفدك، والحق المتعلق فيها، ومخاصمته للقوم الذين سلبوها ذلك، ولا تحتمل هذه الصفحات القرآنية بيان ذلك.

٣- قال الشيخ الطبرسي قدس سره: ((عن السُّدي قال: إنَّ علي بن الحسين عليهما السلام قال لرجل من أهل الشام حين بعث به عليه السلام عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية أ قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال أما قرأت ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾؟ قال: و إنكم ذو القربى الذي أمر الله أنْ يؤتى حقه؟ قال: نعم.

و هو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين عليهما السلام و أخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءة قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني .... عن عطية

(٧٥) الكافي ج١ ص٥٤٣، باب (الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه) الحديث ٥.

العوفي عن أبي سعيد الخدري قال لمَّا نزل قوله ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة فدكًا))[٧٦].

إنَّ الشيخ الطبرسي قد جمع في تفسيره للآية المباركة ما يتعلق بحق أهل البيت عليهم السلام وبيان حقوقهم التي شرَّعها الله تعالى في الآية من جهة، وما يتعلق بحق فاطمة عليها السلام خاصة في فدك، وهذا يبيِّن مدى ٱشتهار أمر فدك بين الرواة والمؤرخين والمفسرين.

٤- قال السيوطي: ((وَأخرج الْبَزَّار وَأَبُو يعلى وَٱبْن أبي حَاتِم وَٱبْن مرْدَوَيْه عَن أبي سعيد الْخُدْرِيِّ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: لما نزلت هَذِه الْآيَة ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ دَعَا رَسُول الله "صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم" فَاطِمَة فَأَعْطَاهَا فدك))[٧٧]، ((وَأخرج ٱبْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاس "رَضِي الله عَنْهُمَا" قَالَ: لما نزلت ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ أقطع رَسُولُ اللَّهِ فَاطِمَة فدكًا))[٧٨].

إنَّ ما ذكره أعلام المفسرين المسلمين في تفاسيرهم التي تقدمت وغيرها تؤكد مصداقية الرواية التفسيرية الرضوية وحقيقتها في بيان مقام آل محمد، وٱصطفائهم من قبل الله تعالى من دون سواهم من الأمة، وهذا ما يجب على الأمة الاعتراف به، والإذعان إليهم صلوات الله عليهم.

---

(٧٦) مجمع البيان في تفسير القرآن ج٦ ص٢٤٣.

(٧٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٥ ص٢٧٣.

(٧٨) المصدر نفسه ج٥ ص٢٧٤.

المورد السادس

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((فقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٧٩] فهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله دون الأنبياء وخصوصية للآل دون غيرهم .... وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدُّون عن الدين أبدًا، ولا يرجعون إلى ضلالة أبدًا .... وأيُّ فضيلة وأيُّ شرف يتقدم هذا....))[٨٠].

إنَّ ما ورد عنه عليه السلام في هذه الآية المعروفة بـ«آية المودة» هنالك شواهد تفسيرية وحديثية تؤكد مقام «القربى» خاصة الذين جعلهم الله تعالى أجرًا لرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، نذكر منها:

١ - قال الطبري: ((حدثني يعقوب، قال: حدثنا مروان، عن يحيى بن كثير، عن أبي العالية، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: هي قُرْبَى رسولِ اللهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم»))[٨١].

إنَّ هذه الرواية وروايات أخرى في المضمون نفسه فيها بيان وتأكيد على أنَّ المراد بـ«القربى» هم قربى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خاصة من دون غيرهم كما ورد في

(٧٩) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٨٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢١١-٢١٣.

(٨١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢١ ص٥٢٨.

بعض الروايات المختلفة، والتي أرادت بـ«القربى» جهات متعددة مثل (كُلُّ مَنْ له قربى مع النبي في بطون قريش، أو كُلُّ مَنْ له قرابة من جهة هاشم وأمه من بني زهرة، وأم أبيه من بني مخزوم، أو هو التقرب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح، أو أنْ قرابة المسلمين أنفسهم فيما بينهم)[٨٢]، وهي أقوال غير مقبولة وضعيفة.

وقد ناقشها السيد الطباطبائي قدس سره من جوانبها المختلفة وبيَّن ضعف القول بها والرجوع إليها[٨٣]، ثم قال: ((وقيل: المراد بالمودة في القربى، مودة قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم عترته من أهل بيته عليهم السلام، وقد وردت به روايات من طرق أهل السنة، وتكاثرت الأخبار من طرق الشيعة على تفسير الآية بمودتهم وموالاتهم، و يؤيده الأخبار المتواترة من طرق الفريقين على وجوب موالاة أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم، ثم التأمل الكافي في الروايات المتواترة الواردة من طرق الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتضمنة لإرجاع الناس في فهم كتاب الله بما فيه من أصول معارف الدين و فروعها و بيان حقائقه إلى أهل البيت عليهم السلام كحديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما لا يدع ريبًا في أنَّ إيجاب مودتهم وجعلها أجرًا للرسالة، إنما كان ذريعة إلى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعية العلمية))[٨٤].

ثم ٱستشهد برواية أخرى من طرق العامة دالة على المطلوب: ((حدثني محمد بن عمارة، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، قال: حدثنا الصباح بن يحيى المري، عن السدي، عن أبي الديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين «رضي الله عنهما» أسيرًا،

(٨٢) ينظر مثلًا: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢ ص٥٢٥-٥٣٠ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٧ ص٣٤٥-٣٥٠.

(٨٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ج١٨ ص٤٤-٤٧.

(٨٤) المصدر نفسه ج١٨ ص٤٧.

فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قربى الفتنة. فقال له علي بن الحسين «رضي الله عنهما»: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم. قال: ما قرأت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: وإنَّكم لأنتم هم؟ قال نعم))[٨٥].

إنَّ هذه الرواية تعدُّ من الشواهد الراسخة على أنَّ أهل البيت عليهم السلام هم المراد بمودتهم في القرآن الكريم أجرًا للرسالة، كما في الآية المباركة، حيث أنَّ الإمام السجاد عليه السلام استشهد بها على مقامهم عند الله تعالى، وأنَّهم قرابة النبي خاصة ولا يدانيهم في ذلك أحد، بل هو فرض على جميع المسلمين أنْ يتمسكوا به.

٢- قال الشيخ الطبرسي قدس سره: ((وأخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني، قال أخبرنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني .... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية قالوا: يا رسول الله مَنْ هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولدهما. وأخبرنا السيد أبو الحمد، قال أخبرنا الحاكم أبو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل مرفوعًا إلى أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى و خلقت أنا و علي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها .... ثم تلا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾))[٨٦].

---

(٨٥) الميزان في تفسير القرآن ج١٨ ص٥٢.

(٨٦) مجمع البيان في تفسير القرآن ج٩ ص٤٨-٤٩.

وقد ذكر هذا التخصيص مجموعة من أعلام العامة في مؤلفاتهم، ومنهم أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م): ((وَفِيمَا كَتَبَ إِلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَضْرَمِيُّ، يَذْكُرُ أَنَّ حَرْبَ بْنَ الْحَسَنِ الطَّحَّانَ حَدَّثَهُمْ قَالَ: حدثنا حُسَيْنٌ الْأَشْقَرُ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قَرَابَتُنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟ قَالَ: عَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَٱبْنَاهَا عليهم السلام))[٨٧].

إنَّ هذه الرواية المسندة عن ٱبن حنبل تشير إلى ٱعتناء الأعلام إلى جمع الروايات المختلفة في مؤلفاتهم بأسانيدهم المتعددة، وأنَّ هذا الاعتناء قد حفظ تراثنا الإسلامي إجمالًا على رغم محاولات التشويه والتحريف للحقائق، وإبعاد النص القرآني عن واقعه، وهناك أمثلة كثيرة توجب على الباحث أنْ يتتبع تلك الموارد للوقوف عليها وبيان ما يتعلق بها، خصوصًا الروايات التي لها علاقة بالعقيدة الإسلامية، وبالأخص ما يتعلق بالإمامة، وهذه الآية المباركة وما ورد فيها من روايات متعددة هي أحد تلك المصاديق.

وإنَّ الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) في أحد أسانيده ذكر ما يتعلق بهذه الآية وعلاقتها بأهل البيت عليهم السلام قال: ((حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ٱبْنِ أَخِي طَاهِرٍ الْعَقِيقِيُّ الْحَسَنِيُّ، حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنِي عَمِّي عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ النَّاسَ

(٨٧) فضائل الصحابة، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ج١ ص٤٧.

حِينَ قُتِلَ عَلِيٌّ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .... وَأَنَّا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِي ٱفْتَرَضَ اللهُ مَوَدَّتَهُمْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ»: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ فَاقْتِرَافُ الْحَسَنَةِ مَوَدَّتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ))[٨٨].

٣- قال السيوطي: ((وأخرج أبو نعيم والديلمي من طَرِيق مُجَاهِد عَن ٱبْن عَبَّاس "رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا" قَالَ: قَالَ رَسُول الله «صلى الله عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسلَّمَ» ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى أَنْ تحفظوني فِي أهلِ بَيْتِي وتودُّوهم بِي))[٨٩].

وروى السيوطي في بيان ما يتعلق بوجوب التمسك بمحبة أهل البيت عليهم السلام والتحذير من عدائهم، وما في ذلك من آثار في الآخرة: ((وَأخرج أَحْمد وَٱبْن حبَان وَالْحَاكِم عَن أبي سعيد قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله «صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم»: وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يبغضنا أهلَ الْبَيْتِ رجلٌ إِلَّا أدخلَهُ اللهُ النَّارَ))[٩٠]، وذكر روايات بأسانيد متعددة في التأكيد على محبتهم تارة، وعلى التذكير بذلك ثانية، وعلى أنهم عِدْل القرآن وأهمية التمسك بهما للأمن من الضلال ثالثة، وعلى أنَّ محبتهم هي جزء من محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم رابعة، وأنَّ بغضهم من علامات النفاق خامسة[٩١].

---

(٨٨) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م) ج٣ ص٨١.

(٨٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٧ ص٣٤٨.

(٩٠) المصدر نفسه ج٧ ص٣٤٩.

(٩١) المصدر نفسه.

فهل بعد هذا البيان والنقل المتواتر أو المشهور من اعتراض أو شك على مقام أهل البيت عليهم السلام، ومنزلتهم التي لا يدانيها بشر؟!! ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٩٢).

إنَّ كُلَّ ما ورد من كلام المفسرين أو الروايات التي تضمنتها تفاسيرهم تؤكد ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّ هذه الآية المباركة من الشواهد القرآنية على الاصطفاء الإلهي لأهل البيت عليهم السلام من دون الأمة، وأنها من خصوصياتهم التي لا بد على المسلمين من معرفتها والإذعان إليها.

(٩٢) سورة يونس: الآية ٣٢.

المورد السابع

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وأما السابعة فيقول الله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٩٣] وقد علِمَ المعاندونَ [منهم] أنه لمَّا نزلَتْ هذهِ الآيَةُ قيل: يا رسولَ اللَّهِ، قد عَرِفْنَا التسليمَ [عليك] فكيفَ الصلاةُ عليكَ؟

فقال: تقولون: ((اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وآلِ إِبْرَاهِيْمَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ)) وهل بينكم معاشر الناس في هذا ٱختلاف؟

قالوا: لا.

فقال المأمون: هذا ما لا ٱختلاف فيه [أصلًا] وعليه الإجماع، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني عن قول الله: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٩٤] فمَنْ عنى بقوله: يس؟

قال العلماء: يس محمد، ليس فيه شك.

---

(٩٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٩٤) سورة يس: الآيات١-٤.

قال أبو الحسن عليه السلام: أعطى اللهُ محمدًا وآلَ محمدٍ من ذلكَ فضلًا لم يبلُغْ أحَدٌ كُنْهَ وَصْفِهِ لِمَنْ عقلَهُ، وذلكَ أنَّ اللهَ لم يسلِّمْ على أحَدٍ إلا على الأنبياءِ [صلوات الله عليهم] فقالَ تباركَ وتعالى﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾(٩٥)، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(٩٦)، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾(٩٧)، ولم يقل: سلامٌ على آلِ نوحٍ، ولم يقل: سلامٌ على آلِ إبراهيمَ، ولا قال: سلامٌ على آلِ موسى وهارونَ، وقال عز وجل: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ يعني آل محمد.

فقال المأمون: لقد علِمْتُ أنَّ في معدِنِ النبوةِ شرحَ هذا وبيانَهُ(٩٨).

لقد ورد فيما يتعلق بالآية المباركة ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ قراءات مختلفة بين القُرَّاء بما يؤيد الرواية التفسيرية الرضوية، وقد ذكر الإمام الرضا عليه السلام ما عليه القُرَّاء المشهورون في ذلك، وهذا ما سنراه ظاهرًا في تفاسير المسلمين، عند تفسيرهم الآية المباركة، والتأكيد على العترة الطاهرة:

١ - قال الطبري: ((وآختلفت القُرَّاء في قراءة قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ فقرأته عامَّةُ قرَّاء مكة والبصرة والكوفة: (سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْيَاسِيْنَ) بكسر الألف من (إلياسين)، فكان بعضهم يقول: هو آسم إلياس، ويقول: إنه كان يُسمَّى باسمين: إلياس، وإليا سين مثل إبراهيم، وإبراهام .... وقرأ ذلك عامة قرَّاء المدينة: (سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِيْنَ) بقطع آل من (ياسين)، فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى: سلام على آل محمد ....))(٩٩).

---

(٩٥) سورة الصافات: الآية ٧٩.

(٩٦) سورة الصافات: الآية ١٠٩.

(٩٧) سورة الصافات: ١٢٠.

(٩٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢١٣-٢١٤.

(٩٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢١ ص١٠١-١٠٣.

إنَّ هذا الاختلاف للقُرَّاء الذي ذكره الطبري يؤكد وجود روايات متعددة في القراءة الدالة على أهل البيت (آل ياسين)، وأنَّها صادرة من نصف القرَّاء السبعة المشهورين، فضلًا عن قراءات غيرهم، وهذا الرأي مما لا يمكن العدول عنه بسهولة، إلا إذا كان هناك إصرار على إخفاء مقام آل محمد عليهم السلام، وهذا لا يمكن تحققه مع وجود ذلك العدد من القرَّاء الكبار، فضلًا عن الرواة المشهورين، والأسانيد المتعددة في ذلك.

٢- قال الشيخ الطوسي قدس سره: ((وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِيْنَ) على إضافة (آل) إلى (ياسين). الباقون (عَلى إلْيَاسِيْنَ) موصولة. مَنْ أضاف أراد به على آل محمد صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ (يس) اسم من أسماء محمد على ما حكيناه))[١٠٠].

وقد ذكر الشيخ الطوسي في تفسير أول سورة يس: ((وقال محمد بن الحنفية (يس) معناه يا إنسان يا محمد، وروي عن علي عليه السلام أنه قال: سمَّى الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله في القرآن بسبعة أسماء: محمد، وأحمد، وطه، ويس، والمزمل، والمدثر، وعبد الله))[١٠١].

٣- قال الفخر الرازي: ((قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ (آلِ يَاسِينَ) عَلَى إِضَافَةِ لَفْظِ (آلٍ) إِلَى لَفْظِ (يَاسِيْنَ) وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِ الْأَلِفِ وَجَزْمِ اللَّامِ مَوْصُولَةً بِيَاسِينَ، أَمَّا الْقِرَاءَةُ الْأُولَى فَفِيهَا وُجُوهٌ الْأَوَّلُ: وَهُوَ الْأَقْرَبُ أَنَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِلْيَاسُ بْنُ يَاسِينَ فَكَانَ إِلْيَاسُ آلَ

(١٠٠) التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ج٨ ص٥٢٣.

(١٠١) المصدر نفسه ج٨ ص٤٤١.

يَاسِينَ. الثَّانِي: (آلُ يَاسِينَ) آلُ مُحَمَّدٍ "صلى الله عليه [وآله] وسلم". وَالثَّالِثُ: أَنَّ يَاسِينَ ٱسْمُ الْقُرْآنِ، كَأَنَّهُ قِيلَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَى مَنْ آمَنَ بِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ يَاسِينُ))[١٠٢].

إنَّ ما ذكره الفخر الرازي في الوجه الأول بقوله: ((وَهُوَ الْأَقْرَبُ أَنَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِلْيَاسُ بْنُ يَاسِينَ فَكَانَ إِلْيَاسُ آلَ يَاسِينَ)) هو قول من غير دليل، فمجرد ذكر الاسم لا يعني أنه هو المراد، وخصوصًا مع كثرة القرَّاء الذين لا يقرؤون بما يراه الرازي، والروايات المؤكدة القراءة الثانية والواردة في كثير من مؤلفات العامة، وأغلب مؤلفات الخاصة، بل ما ورد من قراءات أهل البيت عليهم السلام، وهم الأعرف بما نزل من كتاب الله تعالى.

٤- قال السيوطي: ((وَأخرج ٱبْن أبي حَاتِم وَالطَّبَرَانِي وَٱبْن مرْدَوَيْه عَن ٱبْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ قَالَ: نَحن آل مُحَمَّد ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾))[١٠٣].

إنَّ هذه الرواية تؤكدها غيرها من روايات العامة، قال ٱبن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ/١٥٦٧م) في بيانه عن الآيات الواردة بحق أهل البيت عليهم السلام: ((الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ فقد نقل جماعة من المفسِّرين عن ٱبن عباس "رضي الله عنهما" أَنَّ المُرَاد بذلِكَ سلامٌ على آلِ محمدٍ .... وذكر الفخر الرازي أَنَّ أهلَ بيته "صلى الله عليه [وآله] وسلم" يساوونه في خمسة أشياء:

في السلام قال: السلام عليك أيها النبي، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾.

وفي الصلاة عليهِم في التشهد.

---

(١٠٢) مفاتيح الغيب ج٢٦ ص٣٥٤.

(١٠٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٧ ص١٢٠.

وفي الطهارة قال تعالى: ﴿طه﴾[١٠٤] أي يا طاهِرُ، وقال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١٠٥].

وفي تحريمِ الصدقةِ وفي المحبة، قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحِبِبْكُمُ اللهُ﴾[١٠٦]، وقال: ﴿قُلْ لَا أَسأَلكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١٠٧]))[١٠٨].

وقد ذكر السيد هاشم البحراني قدس سره (١١٠٧هـ/١٦٩٥م) في تفسيره (اثنتي عشرة) رواية بأسانيد ومصادر مختلفة، تؤكد أنَّ المراد من قوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ هم آل محمد (صلوات الله عليهم)[١٠٩]، وفي ذلك تأكيد ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام في الرواية التفسيرية.

ووردت روايات متعددة في بيان الآية المباركة وأنها مختصة بآل محمد عليهم السلام، ذكرها الأعلام في مؤلفاتهم، روى شيخنا الصدوق قدس سره في ذلك أحاديث (خمسة) بأسانيد مختلفة تؤكد الرواية التفسيرية الرضوية، ومنها: ((حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه .... حدثنا وهب بن نافع، قال: حدثني كادح (قادح)، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عن علي عليهم السلام في قوله عز وجل: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾. قال: ياسين محمد صلى الله عليه وآله، ونحن آل ياسين))[١١٠].

---

(١٠٤) سورة طه: الآية ١.

(١٠٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(١٠٦) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(١٠٧) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(١٠٨) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق وتعليق: عادل شوشة، (مكتبة فياض، المنصورة، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م) ص٤٢٨-٤٢٩.

(١٠٩) ينظر: البرهان في تفسير القرآن ج٦ ص٤٤٨-٤٥١.

(١١٠) معاني الأخبار ص١٢٢ باب (معنى آل ياسين) الحديث ٢.

وأنَّ شيخنا العلامة المجلسي قدس سره قد ذكر تلك الروايات المتعددة، وأقوال المفسرين من العامة[١١١]، وغيرهم[١١٢]، فضلًا عن مؤلفات خاصة في هذه القراءة ووجوهها وما يتعلق بها[١١٣].

وفصَّل بعض الأعلام ما يتعلق بترجيح هذه القراءة التفسيرية في آل محمد عليهم السلام وبيان أسباب ذلك، قال السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني قدس سره (ت١٣٨٦هـ/١٩٦٧م) بعد ذكره لأقوال القرَّاء والتفاسير الواردة في الآية : ((الأرجح عندي قراءة (آل يس) بفتح الهمزة وكسر اللام وحدها وذلك للوجوه الآتية ....))[١١٤].

---

(١١١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ/١٧٠٠م)، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ج٣ ص١٦٧-١٧١.

وقال في ختام بيانه الروايات والأقوال: ((أقول: فظهر اتفاق الكُلِّ على القراءة والرواية، لكن بعضهم حملتهم العصبية على عَدِّ هذا الاحتمال مع مطابقته لرواياتهم مرجوحًا)) ج٣ ص١٧١.

(١١٢) ينظر مثلًا: ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، (مط أسوة، الناشر: دار الأسوة، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ) ج١ ص٣٨، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، (ط١، ذوي القربى، قم، ١٣٨٤هـ) ج١ ص١٠٩.

(١١٣) ينظر: آل ياسين قراءة قرآنية أصيلة، الشيخ علي الشكري الغدادي، (مط الغدير، قم، ط١، ١٤١٩هـ ٢٠٠٨م).

(١١٤) القراءات القرآنية في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الشيخ الدكتور عماد الكاظمي، (دار الكفيل، كربلاء المقدسة، ط١، ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م) ص٢٠١-٢٠٥.

المورد الثامن

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وأما الثامنة فقول الله عز وجل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾[١١٥] فقرن سهم ذي القربى مع سهمه وسهم رسوله صلى الله عليه وآله فهذا فصل بين الآل والأمة؛ لأنَّ الله جعلهم في حيز، وجعل الناس كلهم في حيز دون ذلك، ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه، وابتدأ بنفسه ثم ثنَّى برسوله، ثم بذي القربى في كُلِّ مَنْ كان الفيء والغنيمة وغير ذلك مما رضيه عز وجل لنفسه ورضيه لهم فقال -وقوله الحق-: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ فهذا توكيد مؤكد وأمر دائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١١٦].

وأما قوله: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ فإنَّ اليتيم إذا انقطع يُتْمَه خرج من المغانم ولم يكن له نصيب، وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب في المغنم، ولا يحل له أخذه، وسهم ذي القربى إلى يوم القيامة قائم فيهم للغني والفقير؛ لأنه لا أحد أغنى من الله ولا من رسوله صلى الله عليه وآله فجعل لنفسه منها سهمًا، ولرسوله صلى الله عليه وآله سهمًا، فما رضي لنفسه ولرسوله رضيه لهم، وكذلك الفيء ما رضيه لنفسه ولنبيه صلى الله عليه وآله رضيه لذي

(١١٥) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(١١٦) سورة فصلت: الآية ٤٢.

القربى، كما جاز لهم في الغنيمة فبدأ بنفسه، ثم برسوله صلى الله عليه وآله، ثم بهم، وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله وكذلك في الطاعة قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١١٧] فبدأ بنفسه، ثم برسوله صلى الله عليه وآله، ثم بأهل بيته، وكذلك آية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[١١٨] فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته، كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقرونًا بأسهمهم في الغنيمة والفيء، فتبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلما جاءت قصة الصدقة نزَّه نفسه عزَّ ذكره، ونزَّه رسوله صلى الله عليه وآله، ونزَّه أهل بيته عنها فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾[١١٩]، فهل تجد في شيء من ذلك أنه جعل لنفسه سهمًا، أو لرسوله صلى الله عليه وآله أو لذي القربى؛ لأنه لمَّا نَزَّههم عن الصدقة نزَّه نفسه، ونزَّه رسوله، ونزَّه أهل بيته، لا بل حَرَّم عليهم؛ لأنَّ الصدقة محرمة على محمد وأهل بيته وهي أوساخ الناس لا تحل لهم؛ لأنهم طُهِّروا من كُلِّ دنس ووسخ، فلما طهَّرهم واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه[١٢٠].

إنَّ ما ورد من بيان للإمام الرضا عليه السلام في الرواية التفسيرية لهذه الآية المباركة وما يتعلق بها، يؤكد عمق الاستدلال والترابط القرآني في الآيات الخاصة بآل محمد عليهم السلام، وما في ذلك من معارف تُظْهِر أثر الثقلين في المعارف الإسلامية، وفي كُلِّ ما تقدَّم روايات تفسيرية تضمَّنتها تفاسير المسلمين، ويعدُّ تفسير الطبري من أوائل

(١١٧) سورة النساء: الآية ٥٩.

(١١٨) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(١١٩) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(١٢٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢١٥-٢١٦.

تلك التفاسير التي فصَّلت في الروايات التفسيرية المتعلقة بآية الخمس عامة، وحق أهل البيت عليهم السلام خاصة، وسوف يتم بيان ذلك بإيجاز؛ لتأكيد الرواية التفسيرية الرضوية للآية المباركة.

١ - قال الطبري في بيانه لتفسير الآية والأقوال الواردة: ((وقال آخرون: معنى ذلك: فإنَّ لبيت الله خمسه وللرسول .... وقال آخرون: ما سُمِّي لرسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" من ذلك فإنما هو مراد به قرابته، وليس لله ولا لرسوله منه شيء .... وأما قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾، فإنَّ أهل التأويل ٱختلفوا فيهم.

فقال بعضهم: هم قرابة رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" من بني هاشم ....عن مجاهد قال: كان آل محمد "صلى الله عليه [وآله] وسلم" لا تحلُّ لهم الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس[١٢١].

وقال آخرون: بل هم قريش كلها .... وقال آخرون: بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصةً ....))[١٢٢].

إنَّ هذه الروايات في الغالب تؤكد حق أهل البيت عليهم السلام القرآن الكريم من هذا السهم المالي المذكور في القرآن الكريم، وهذا يبيِّن مقامهم في الأمة وحقوقهم تجاههم، ولا بد على الأمة من أداء ذلك الحق الإلهي المتعلق بخمس أرباح أموالهم، كما هو مفصَّل في المؤلفات الفقهية.

ثم ذكر الطبري الأقوال الواردة في هذا السهم بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكيفية أدائه، وما حَقُّ أهل البيت فيه: ((وٱختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين أعني

(١٢١) وذكر في هذا القول أحاديث سبعة بأسانيد مختلفة. ينظر: ج١٣ ص٥٥٣-٥٥٥.

(١٢٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٥٤٨-٥٥٥.

سهم رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" وسهم ذي القربى بعد رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم"، فقال بعضهم: يُصْرَفان في معونة الإسلام وأهله .... وقال آخرون: سهم ذوي القربى من بعد رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" مع سهم رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" إلى ولي أمر المسلمين .... وقال آخرون: سهم رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" مردود في الخمس .... وقال آخرون: الخمس كُلُّه لقرابة رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم"، حدثني الحارث قال حدثنا عبد العزيز، قال حدثنا عبد الغفار، قال حدثنا المنهال بن عمرو قال: سألت عبد الله بن محمد بن علي، وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا. فقلت لعليٍّ: إنَّ الله يقول: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ﴾. فقالا: يتامانا ومساكيننا))[١٢٣].

إنَّ الاطلاع على الآراء التي تبيِّن صرف حق الرسول وذي القربى توجِب الغرابة في ذلك؛ فرغم وجود أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم وذريته فلماذا يتم صرفه لغيرهم؟! وإنَّ هذه الحالة -للأسف- رأيناها موجودة في كتب التاريخ والحديث والتفسير، ومحاولة إخفاء فضائل أهل البيت عليهم السلام !!

٢- قال الشيخ العياشي رحمه الله: ((عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال: سألته عن قول الله: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ قال: هم أهل قرابة رسول الله "عليه وآله السلام"، فسألته: منهم اليتامى والمساكين وٱبن السبيل؟ قال: نعم))[١٢٤].

---

(١٢٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٥٥٦-٥٥٩.

(١٢٤) تفسير العياشي ج٢ ص١٩٩.

وقد ذكر شيخنا العياشي (روايات عشر) بأسانيد مختلفة أنَّ لأهل البيت عليهم السلام حقًّا في الخمس كما أشارت إليه الآية المباركة، وأكدت مقامهم الروايـة التفـسيرية الرضوية[١٢٥].

٣- قال الشيخ الطوسي قدس سره: ((وأما خمس الغنيمة، فإنه يقسم عندنا ستة أقسام: فسهم الله، وسهم لرسوله للنبي، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى، للقائم مقـام النبـي "صلى الله عليه وآله" ينفقها على نفسه وأهل بيته من بني هاشم، وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس؛ لأنَّ الله تعالى عوَّضهم ذلك عما أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سـبيلهم مـن الصدقات إذا كانت الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول عليهم السلام وهو قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن على الباقر ابنه عليهم السلام رواه الطبري بإسناده عنهما))[١٢٦].

إنَّ شيخنا الطوسي قدس سره يؤكد منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيما يتعلق بموارد صرف الخمس، وأنَّ حق النبي في الخمس يكون لأهل بيته، مع بيانه الحكمة الإلهية في تخصيص ذلك لهم اعتمادًا على رواية مختلفة، وهذا ما أكده بقوله: (لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَوَّضَهُمْ ذَلِكَ عَمَّا أَبَاحَ لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ وَمَسَاكِيْنِهِمْ وَأَبْنَاءِ سَبِيْلِهِمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ إِذَا كَانَتِ الصَّدَقَاتُ مُحَرَّمَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُوْلِ)، وقد أفاد ذلك من الآيـة المباركـة والروايات الشريفة المتعددة التي تضمَّنتها الموسوعات الحديثية المختصة، فضلًا عمَّا تم بيانه في المؤلفات الفقهية.

---

(١٢٥) ينظر: تفسير العياشي ج٢ ص١٩٩-٢٠٢.

(١٢٦) التبيان في تفسير القرآن ج٥ ص١٢٣.

٤- قال الزمخشري: ((فإنْ قلتَ: كيف قسمة الخمس؟ قلت: عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" على خمسة أسهم: سهم لرسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم"، وسهم لذوي قرباء من بني هاشم وبني المطلب، دون بني عبد شمس وبني نوفل، ٱستحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة، لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة. فقال "صلى الله عليه [وآله] وسلم: إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، وشبك بين أصابعه))[١٢٧].

إنَّ الزمخشري في بيانه لما يتعلق بتوزيع الخمس يؤكد حق أهل البيت عليهم السلام في ذلك بما جعله الله لهم في كتاب الله تعالى، وأنَّ حقهم ثابت في حياة النبي وبعده، على رغم الاختلاف في التوزيع بين أتباع المذاهب الإسلامية.

وقد تتبع المحدِّث الشيخ هاشم البحراني الروايات المتعددة الواردة في المصادر الحديثية لتفسير الآية المباركة، فذكر (خمسًا وعشرينَ روايةً) ؤكد حق الأئمةعليهم السلام في الخمس[١٢٨]، وفي ذلك غنًى تامًّا للرواية التفسيرية الرضوية الدالة على مقام آل محمد عليهم السلام وفضلهم وشرفهم عند الله تعالى.

(١٢٧) تفسير الكشاف ج٢ ص٢٢١.

(١٢٨) ينظر: البرهان في تفسير القرآن ج٣ ص٣٢٢-٣٣٤.

المورد التاسع

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٢٩] فنحن أهل الذكر فاسألونا إنْ كنتم لا تعلمون.

فقال العلماء: إنَّما عنى بذلك اليهود والنصارى.

قال أبو الحسن عليه السلام: سبحان الله! وهل يجوز ذلك؟ إذًا يدعونا إلى دينهم، ويقولون: إنهم أفضل من دين الإسلام.

فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن؟

فقال أبو حسن: نعم. الذكر رسول الله، ونحن أهله، وذلك بيِّنٌ في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[١٣٠]، فالذكر رسول الله، ونحن أهله....))[١٣١].

إنَّ الحث على سؤال «أهل الذكر والرجوع إليهم» كما ورد في القرآن الكريم قد أكدته روايات متعددة، وفيه آثار عظيمة على مقام أهل البيت الذين أمر الله تعالى الرجوع إليهم، وهذا ما ورد بيانه من قبل المفسرين، وأنَّ هذا الاستدلال من الإمام عليه السلام

---

(١٢٩) سورة النحل: الآية ٤٣.

(١٣٠) سورة الطلاق: الآيتان ١٠-١١.

(١٣١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢١٦.

في أنهم مخصوصون في هذه الآية من خلال الرجوع إلى آيات أخرى يستدل بها هو أحد مصاديق تفسير القرآن بالقرآن على وفق منهج تفسير القرآن بالمأثور المعهود لدى الأعلام في علوم القرآن الكريم.

وهناك أقوال للمفسرين في بيان ما يتعلق بالآية المباركة، نذكر من ذلك:

١ – قال الطبري: ((وقال آخرون: الذكر: هو الرسول. والصواب من القول في ذلك أنَّ الرسول ترجمة عن الذكر، ذلك نصب؛ لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة. فتأويل الكلام إذن: قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذكرًا من الله لكم يذكِّركم بـه، وينبِّهكم على حظِّكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، رسولًا يتلو عليكم آيـات الله التي أنزلها عليه ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ يقول: مبينات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله))[١٣٢].

إنَّ ما أورده الطبري من أقوال نسبها إلى رواة في أنَّ المراد بالذكر هو الرسول في دلالة على أنَّ هناك روايات وردت في ذلك، وأنها تلقى قبولًا عن رواتها في بيـان الأقوال المتعددة في المراد من الآية المباركة، وأنَّ هناك إمكانية

٢ – قال الشيخ العياشي: ((عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له إنَّ مَنْ عندنا يزعمون أنَّ قول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُـونَ﴾ أنهـم اليهود والنصارى. فقال: إذًا يدعونكم إلى دينهم. قال ثم قال [أشار] بيده إلى صـدره نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون. قال: قال أبو جعفر عليه السلام: الذكر القرآن))[١٣٣].

إنَّ في الرواية استدلالًا مهمًّا من جهة، وردًّا حجاجيًّا على المعاندين من جهة أخرى، ففي الاستدلال نرى أنَّ الإمام الباقر عليه السلام يشير إلى صدره كناية عن أنهم أهل

(١٣٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٣ ص٤٦٨.

(١٣٣) تفسير العياشي ج٣ ص١١.

ذلك الحقيقيون دون غيرهم، وأنَّ هذه الصدور هي مخزن العلم الإلهي وأسراره التي أورثهم الله تعالى إياهم، وفي الاحتجاج فهو رَدٌّ صريح على تلك الدعوات الإسرائيلية في الروايات، والتي تحاول بيان مقام اليهود ومنزلتهم، وأنَّ لهم فضل على المسلمين، وهي محاولات غير خافية على أهل العلم!! فلنتأمل في قوة آحتجاجه بقوله: ((إذًا يدعونكم إلى دينهم)) ففيه بيان عظيم لمواقف الأئمة عليهم السلام في الدفاع عن تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، وتحصينها من الانحرافات والخرافات والدعوات الباطلة.

٣- قال السيوطي: ((عن آبن مردويه عن آبن عباس ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا﴾ قال: محمد «صلى الله عليه [وآله] وسلم»))[١٣٤].

٤- قال السيد هاشم البحراني (١١٠٧هـ/١٦٩٥م): ((عن عبد الكريم بن أبي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام: قال جل ذكره: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: الكتاب الذكر، وأهله آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمر الله عز وجل بسؤالهم ولم يأمر بسؤال الجهَّال، وسمَّى الله عز وجل القرآن ذكرًا. فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[١٣٦]))[١٣٧]، وقد روى في تفسير الآية المباركة أكثر من عشرين حديثًا بطرق وأسانيد متعددة من العامة والخاصة، في أنهم عليهم السلام المراد بسؤالهم[١٣٨].

---

(١٣٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٨ ص٢٠٩.

(١٣٥) سورة النحل: الآية٤٤.

(١٣٦) سورة الزخرف: الآية٤٤.

(١٣٧) البرهان في تفسير القرآن ج٤ ص٤٥١.

(١٣٨) المصدر نفسه ج٤ ص٤٤٩-٤٥٥.

وقال السيد الطباطبائي قدس سره بعد ذكره لبعض تلك الأحاديث الواردة في بيان ما يتعلق بالآية المباركة: ((أقول: وهذا ٱحتجاج على كونهم أهل الذكر، بأنَّ الذكر هو القرآن، وأنهم أهله؛ لكونهم قوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والآيتان في آخر الكلام للاستشهاد على ذلك، كما صرَّح بذلك في غيره من الروايات، وفي معنى الحديث أحاديث أخر. أقول: وروي نظير هذا البيان عن الرضا عليه السلام في مجلس المأمون))[١٣٩].

(١٣٩) الميزان في تفسير القرآن ج١٢ ص٢٨٤.

المورد العاشر

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وأما العاشرة فقول الله عز وجل في آية التحـــريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١٤٠] أخبروني هل تصلح ٱبنتي أو ٱبنة ٱبني، أو ما تناســـل مـــن صلبي لرسول الله أنْ يتزوجها لو كان حيًّا؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: فأخبروني هل كانت ٱبنة أحدكم تصلح له أنْ يتزوجها؟

قالوا: بلى.

قال: فقال عليه السلام: ففي هذا بيان أنَّا من آلِه، ولستم من آله، ولو كنتم من آلِه لحرِّمت عليه بناتكم كما حُرِّمت عليه بناتي؛ لأنَّا من آلِه وأنتم من أمته، فهذا فرق بين الآل والأمـــة؛ لأنَّ الآل منه، والأمة إذا لم تكن الآل فليست منه[١٤١].

---

(١٤٠) سورة النساء: الآية ٢٣.

(١٤١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢١٦.

إنَّ هذه الرواية الشريفة تبيِّن بكُلِّ وضوح أنَّ الإمام الرضا عليه السلام إنما ٱستشهد بها ٱعتمادًا على ما أوتي من علم نبوي توارثه عن آبائه المعصومين عليهم السلام في بيان دلالة الأحكام الشرعية من خلال كتاب الله تعالى وعمق الاستدلال به، فقد أكد من خلال هذه الآية المباركة بما لا يقبل أي تفسير أو تأويل؛ حيث ظهور الحكم الشرعي ووضوحه في حرمة التزويج من المحارم، ولعله أفاد بما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في ذلك، والتي وردت في تفاسير الخاصة.

روى شيخنا علي بن إبراهيم القمي قدس سره (ت ق٣هـ): ((وحدثني أبي عن ظريف بن ناصح، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام ؟

قلت: ينكرون علينا أنَّهما ٱبنا رسول الله صلى الله عليه وآله !

قال: فأيُّ شئ ٱحتججتم عليهم؟

قلت: ٱحتججنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم عليه السلام : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ -إلى قوله- وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١٤٢] فجعل عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم عليه السلام .

قال: فأيُّ شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد، ولا يكون من الصلب!

قال: فبأيُّ شيء ٱحتججتم عليهم؟

(١٤٢) سورة الأنعام: الآيتان ٨٤- ٨٥.

قال: قلت: ٱحتججنا عليهم بقول الله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾(١٤٣).

قال: فأيُّ شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل، والآخر يقول: أبناؤنا.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود لأعطينَّكها من كتاب الله أنَّهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يردُّها إلا الكافر.

قال: قلت: جعلت فداك وأين؟

قال: من حيث قال الله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ -الآية إلى أنْ ينتهي إلى قوله- وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾، فَسَلْهُم يا أبا الجارود هل كان يَحِلُّ لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟

فإنْ قالوا: نعم، فكذبوا -والله- وفجروا، وإنْ قالوا: لا، فهما والله أبناؤه لصلبه، وما حُرِّمَتا عليه إلا للصلب))(١٤٤).

ونقل هذه الرواية الشريفة المفسِّرون الآخرون والمحدِّثون ٱعتمادًا على ما تقدَّم من رواية الشيخ علي بن إبراهيم القمي(١٤٥).

وقال شيخنا الطوسي قدس سره: ((قال ٱبن عباس: حرَّم الله في هذه الآية سبعًا بالنسب، وسبعًا بالسبب، فالمحرمات من النسب الأمهات، ويدخل في ذلك أمهات

---

(١٤٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(١٤٤) تفسير القمي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، (الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط١، ١٤٣٥هـ، د.مط) ج١ ص٣٠٧-٣٠٨.

(١٤٥) ينظر مثلًا: الكافي ج٨ ص٣١٧-٣١٨ الحديث ٥٠١، تفسير نور الثقلين ج١ ص٤٦١.

الأمهات وإنْ عَلَوْن، وأمهات الآباء مثل ذلك، والبنات، ويدخل في ذلك بنات الأولاد، وأولاد البنين، وأولاد البنات وإنْ نزلن، والأخوات سواء كُنَّ لأب وأم، أو لأب، أو لأم، وبنات الأخ، وبنات الأخت وإنْ نزلن. والمحرمات بالسبب الأمهات من الرضاعة، والأخوات أيضًا من الرضاعة ....))[١٤٦].

مما تقدم يظهر لنا ما ورد من بيان خصوصية الآل على الأهل في الرواية التفسيرية الرضوية، وأنَّ حكم التحريم في حقهم ثابت؛ لأصل قرابتهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(١٤٦) التبيان في تفسير القرآن ج٣ ص١٥٧.

المورد الحادي عشر

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وأما الحادية عشر فقوله في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[١٤٧] وكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه، ولم يضفه إليه بدينه، وكذلك خصصنا نحن إذ كُنَّا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله بولادتنا منه، وعممنا الناس بدينه، فهذا فرق ما بين الآل والأمة[١٤٨].

في الرواية الشريفة يستدل الإمام الرضا عليه السلام على ما يريد تأكيده بشخصية مهمة سلط الضوء عليها القرآن الكريم، وهو مؤمن آل فرعون الذي ورد ذكره فيه روايات، وقد عُدَّ من الصِّدِّيقين الثلاثة المشهورين في الروايات المتواترة، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: ((الصِّدِّيْقُوْنَ ثَلَاثَةٌ: حِزْقِيْلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، وَحَبِيْبُ النَّجَّارِ صَاحِبُ آلِ يَسَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ عليه السلام وهُوَ أَفْضَلُهُمْ))[١٤٩]، وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((سُبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَكْفِرُوْا بِاللّٰهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ، وَصَاحِبُ يَاسِيْنَ،

---

(١٤٧) سورة غافر: الآية ٢٨.

(١٤٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢١٦.

(١٤٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٧ ص٥٣.

وَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، فَهُمُ الصِّدِّيْقُوْنَ، وَعَلِيٌّ أَفْضَلُهُمْ))[١٥٠]، وقد تضمنت مصادر متعددة بيان ما يتعلق باسمه والآيات التي تناولت قصته مع فرعون وبني إسرائيل[١٥١].

وقد ورد في بيان علاقته النسبية بفرعون قولان:

الأول: إنه (ٱبن خاله) كما في رواية الإمام الرضا عليه السلام التفسيرية.

والآخر: إنه (ٱبن عمِّه) كما في روايات أخرى، فقد روى الطبري عن السدِّي ((أنَّ مؤمِنَ آلِ فرعونَ كانَ ٱبنَ عَمِّ فرعونَ))[١٥٢]، وروى الزمخشري: ((وكانَ قبطيًّا ٱبنَ عَمٍّ لفرعونَ))[١٥٣]، وروى الشيخ الطبرسي: ((عن السدِّي ومقاتل ٱبنُ عَمِّ فرعونَ))[١٥٤].

إنَّ الاستدلال في التفسير الوارد عن الإمام الرضا عليه السلام في بيان مقام آل محمد على الأمة لم يرد في رواية أخرى عن النبي أو الأئمة عليهم السلام، وفيه توجيه عظيم منه عليه السلام في الإفادة من اللفظ القرآني والسياق الذي يفهم من خلاله المراد، فالآية المباركة أكدت أنَّ العلاقة السببية بين حزقيل وفرعون يمكن أنْ يطلق عليها (الآل) وليس (الأمة)، وإذا كان هذا ثابت كما أكَّد القرآن عليه فهو ثابت في آل محمد في نسبتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل أكثر تأكيدًا حيث ٱنتسابهم إليه عقيدة كذلك.

إنَّ الطبري رجَّح في تفسيره لآية مؤمن آل فرعون أنَّ (الآل) هنا قرينة عن الانتساب السببي من جهة، ولكنه من جهة أخرى لم يوافق ذلك في آية الاصطفاء في

---

(١٥٠) بحار الأنوار ج١٣ ص٥٨.

(١٥١) ينظر مثلًا: أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢١هـ) ص٤٦٤-٤٦٥.

(١٥٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢١ ص٣٧٥

(١٥٣) تفسير الكشاف ج٤ ص١٦٢.

(١٥٤) مجمع البيان في تفسير القرآن ج٨ ص٤٣٧.

سورة آل عمران، فقال عن آية (مؤمن آل فرعون): ((ٱختلفَ أهلُ العلمِ في هذا الرجلِ المؤمنِ، فقالَ بعضُهُم: كانَ من قومِ فرعونَ، غيرَ أنَّهُ كانَ قد آمنَ بموسى، وكانَ يُسِرُّ إيمانَهُ من فرعونَ وقومِهِ خوفًا على نفسِهِ .... عن السدِّيِّ قالَ: هو ٱبنُ عَمِّ فرعونَ.... وقالَ آخرونَ: بل كانَ الرجلُ إسرائيليًّا، ولكنَّهُ كانَ يكتمُ إيمانَهُ من آلِ فرعونَ....))[١٥٥].

وبعد بيانه لهذين القولين في الآية (أنه من آل فرعون أو من قوم فرعون) قال: ((وأولى القولينِ في ذلكَ بالصوابِ عندي، القولُ الذي قالَهُ السدِّيُّ من أنَّ الرجلَ المؤمِنَ كانَ من آلِ فرعونَ))[١٥٦].

ولكنه ذكر أنَّ (الآل) لا يختص بأقاربه وأهله خاصة، بل يطلق على الأهل وعلى المؤمنين كذلك من الأمة، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: ((وإنَّما عَنَى بـ"آل إبراهيم وآل عمران" المؤمنينَ .... قال: هُمُ المؤمنونَ من آلِ إبراهيمَ وآلِ عمرانَ وآلِ ياسينَ وآلِ محمدٍ، يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾[١٥٧] وهُمُ المؤمنونَ))[١٥٨].

ومما ينبغي بيانه والتأكيد عليه أنَّ الأئمة هم من (الآل) بالخصوص، وقد أكدته روايات تفسيرية أخرى، كالتي وردت في بيان آية الاصطفاء في سورة آل عمران، فقد روى العياشي في تفسير آية الاصطفاء: ((عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبى جعفر عليه السلام

(١٥٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢١ ص٣٧٥-٣٧٦.

(١٥٦) المصدر نفسه ج٢١ ص٣٧٦.

(١٥٧) سورة آل عمران: الآية ٦٨.

(١٥٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٣٢٦.

قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[١٥٩] قال: نحنُ منهم، ونحنُ بقيَّةُ تلكَ العترةِ))[١٦٠].

قال السيد الطباطبائي قدس سره تعقيبًا على هذه الرواية: ((أقول: قوله عليه السلام: ونحنُ بقيَّةُ تلكَ العترةِ، العترةُ بحسبِ الأصلِ في معناها الأصلِ الذي يعتمِدُ عليهِ الشيءُ، ومنهُ العترةُ للأولادِ والأقاربِ الأدنَيْنِ ممَّن مضى، ومنهُ يظهرُ أنَّه عليه السلام استفادَ من قولهِ تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ أنَّها عترَةٌ محفوظَةٌ آخذَةٌ من آدمَ إلى نوحٍ إلى آلِ إبراهيمَ و آلِ عمرانَ، ومن هُنا يظهَرُ النكتَةُ في ذكرِ آدمَ نوحٍ معَ آلِ إبراهيمَ وعمرانَ، فهيَ إشارَةٌ إلى اتِّصالِ السلسلةِ في الاصطفَاءِ))[١٦١].

وذكر السيد هاشم البحراني في تفسيره مجموعة من الروايات المؤكدة على مقام آل محمد (عليهم السلام) وأنهم من (الآل) في قوله تعالى: ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾[١٦٢].

---

(١٥٩) سورة آل عمران: الآيتان ٣٣-٣٤.

(١٦٠) تفسير العياشي ج١ ص٢٩٩.

(١٦١) الميزان في تفسير القرآن ج٣ ص١٩٥.

(١٦٢) ينظر: البرهان في تفسير القرآن ص٢٣-٢٨.

المورد الثاني عشر

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((فقوله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[١٦٣]، فخصصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية، إذ أمرنا مع الأمة بإقامة الصلاة، ثم خصصنا من دون الأمة، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كُلِّ يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: «الصلاة يرحمكم الله»، وما أكرم الله أحدًا من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا الله بها، وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم. فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة خيرًا، فما نجد الشرح والبيان فيما ٱشتبه علينا إلا عندكم))[١٦٤].

إنَّ ٱستشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية المباركة على مقام أهل البيت عليهم السلام فيه تأكيد عليه من خلال مجموعة من الروايات التفسيرية في هذا الأمر تظهر فضل ذلك، نذكر منها:

١ - قال الشيخ علي بن إبراهيم القمي قدس سره: ((فإنَّ الله أمره أنْ يخصَّ أهله دون الناس؛ ليعلم الناس أنَّ لأهل محمد صلى الله عليه وآله عند الله منزلة خاصة ليست للناس، إذ أمرهم مع

---

(١٦٣) سورة طه: الآية ١٣٢.

(١٦٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢١٧.

الناس عامة، ثم أمرهم خاصة، فلمَّا أنزل الله هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء كُلَّ يوم عند صلاة الفجر حتى يأتي باب علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فيقول علي وفاطمة والحسن والحسين: وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. ثم يأخذ بعضادتي الباب ويقول: «الصلاةَ الصلاةَ يرحمكم الله» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فلم يزل يفعل ذلك كُلَّ يوم إذا شهد المدينة حتى فارق الدنيا. وقال أبو الحمراء خادم النبي صلى الله عليه وآله: أنا شهدته يفعل ذلك))[١٦٥].

إنَّ هذا التفسير للآية المباركة قد اتخذ مضمون رواية الإمام الرضا عليه السلام وغيرها من الروايات مصدرًا لبيان ما يتعلق بالآية من جهة، والتأكيد على مقامهم المشهود في القرآن الكريم بما لا يمكن إنكاره من جهة أخرى، فضلًا عن بيانه كما في الروايات أنَّ الأمر لك يكن عرضًا في زمن قصير معيَّن، بل طيلة أيام وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، وهذا لا يخالف الروايات الأخرى التي وردت لمدة (ستة أشهر) أو (ثمانية أشهر) أو (تسعة أشهر)، فجميعها إجمالًا تؤكد على أنَّ الحال كان لمدة شهور، وبطبيعة هذا الواقع من وقوفه صلى الله عليه وآله وسلم على الباب وخطابه بذلك الخطاب فإنه يؤكد ذلك المقام العظيم، والاصطفاء الإلهي، ومدى العناية بهم.

٢- قال الشيخ الطبرسي قدس سره: ((معناه وأمر يا محمد أهل بيتك وأهل دينك بالصلاة، روى أبو سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي باب فاطمة وعلي تسعة أشهر عند كُلِّ صلاة فيقول: الصلاةَ رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ

(١٦٥) تفسير القمي ج٢ ص٦٧.

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ورواه ٱبن عقدة بإسناده من طرق كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام وعن غيرهم ....))[١٦٦].

إنَّ الرواية الشريفة في أحد أسانيدها عن أبي سعيد الخدري تحدد المدة الزمنية لعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخطابه بما يدل على وجود غاية معينة في تكرار العمل، كما تقدم الكلام عن تفسير القمي.

٣- قال السيوطي: ((وَأخرج ٱبْن مرْدَوَيْه وَٱبْن عَسَاكِر وَٱبْن النجار عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ قَالَ: لمَّا نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ كَانَ النَّبِي «صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم» يَجِيء إِلَى بَاب عليٍّ صَلَاة الْغَدَاة ثَمَانِيَة أشهر يَقُول: الصَّلَاة رحِمَكُمُ اللهُ ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾))[١٦٧].

٤- قال الشيخ الحويزي: ((وروي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ قال: أمر الله نبيه أنْ يخصَّ أهل بيته وأهله من دون الناس؛ ليعلم الناس أنَّ لأهله عند الله منزلة ليست لغيرهم، فأمرهم من الناس عامة، ثم أمرهم خاصة))[١٦٨].

وفي بيان إمكانية ٱنطباق الآية على أهل البيت عليهم السلام عامة، أو المخاطب به آنذاك حصرًا يقول السيد الطباطبائي قدس سره في تفسيره: ((الآية ذات سياق يلتئم بسياق سائر آيات السورة، فهي مكية كسائرها، على أنَّا لم نظفر بمَنْ يستثنيها ويعدُّها مدنية، وعلى هذا فالمراد بقوله ﴿أَهْلَكَ﴾ بحسب ٱنطباقه على وقت النزول خديجة زوج

(١٦٦) مجمع البيان في تفسير القرآن ج٧ ص٦٨.

(١٦٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٥ ص٦١٣.

(١٦٨) تفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٠٨.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام وكان من أهله وفي بيته، أو هما وبعض بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقول بعضهم: إنَّ المراد به أزواجه وبناته وصهره علي. وقول آخرين: المراد به أزواجه وبناته وأقرباؤه من بني هاشم والمطلب. وقول آخرين: جميع متبعيه من أمته. غير سديد، نعم لا بأس بالقول الأول من حيث جري الآية وٱنطباقها، لا من حيث مورد النزول، فإنَّ الآية مكية، ولم يكن له صلى الله عليه وآله وسلم بمكة من الأزواج غير خديجة "عليها السلام"))[١٦٩].

وفيما يتعلق بقول السيد الطباطبائي أنها يمكن أنْ تكون خاصة بالإمام علي عليه السلام وخديجة في وقت نزول الآية، ولكن حديث الإمام الرضا عليه السلام في الآية يرى بقاء ذلك الأمر في ذريته كرامة لهم، فيقول: ((وما أكرم الله أحدًا من ذراري الأنبياء بهذه الكرامة التي أكرمنا الله بها، وخصَّنا من جميع أهل بيته)).

هذا آخر ما تم بيانه من الروايات التفسيرية الرضوية الدالة على ٱصطفاء الله تعالى لآل محمد (عليهم السلام) على الأمة، بنص القرآن الكريم الناطق بالحق، وأرجو أنِّي وُفِّقت في عرضها موازنة مع التفاسير القرآنية المأثورة عن الأعلام، والروايات التفسيرية الواردة عن النبي وآله الكرام (عليهم السلام)

(١٦٩) الميزان في تفسير القرآن ج١٤ ص٢٣٨.

خاتمة المطاف:

١ – إنَّ الروايات التفسيرية التي تضمنتها مؤلفات أعلامنا تعدُّ من الروايات المهمة التي يجب الرجوع إليها في معرفة تفسير الآيات المباركة؛ لأنهم عدل القرآن الكريم الذين أوصى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع إليهم؛ حفظًا من الضلال والانحراف.

٢ – إنَّ هذه الرواية التفسيرية الشريفة الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام هي رواية مهمة، ويمكن دراستها من جوانب مختلفة، حيث تضمنت أسلوبًا علميًّا من أساليب الحجاج، وإقامة الحجة والبيان على الآخر في معرفة حقيقة ما يتم ٱدعاؤه، من خلال الاستدلال القرآني في بيان وإثبات العقيدة.

٣– لقد سلَّط الإمام عليه السلام الضوء على مقام أهل البيت عليهم السلام من خلال الرجوع إلى مصدر التشريع الأول للمسلمين، وهو القرآن الكريم وتأييد ذلك ببعض الروايات الشريفة، مما يؤكد وحدة المنهج بين القرآن والسنة الشريفة على ذلك.

٤ – إنَّ رجوع الباحث إلى التفاسير المختلفة في بحثه والتي تعد من المصادر التفسيرية للمسلمين؛ لبيان مدى مطابقة تلك الروايات التفسيرية لما تم ذكره في حديث الإمام الرضا عليه السلام، وهذا ما ظهر جليًّا في صفحات البحث، على رغم محاولة بعض التفاسير إخفاء مقامهم عليهم السلام .

٥ – يؤكد الباحث أهمية دراسة الروايات التفسيرية الواردة عن الأئمة عليهم السلام دراسة تحليلية، لا سردية أو ٱستدلالية فحسب؛ لإمكان الإفادة منها في جوانب متعددة، فضلًا عن الفهم للنص القرآني المبارك.

٦- إنَّ الدراسات الموازنة أو المقارنة تفتح الآفاق نحو أبحاث دقيقة أخرى، وخصوصًا ما يتعلق بالتراث الروائي لأئمة أهل البيت عليهم السلام، بما يظهر مقامهم جليًّا في ريادتهم للجوانب المعرفية المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. آل ياسين قراءة قرآنية أصيلة، الشيخ علي الشكري الغدادي، (مط الغدير، قم، ط١، ١٤١٩هـ ٢٠٠٨م).

٢. أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢١هـ).

٣. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ/١٧٠٠م)، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٤. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (١١٠٧هـ/١٦٩٥م)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).

٥. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٦. تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (١١١٢هـ/١٧٠٠م)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (مؤسسة إسماعليان، قم، ط٤، ١٤١٢هـ).

٧. تفسير الصافي، المولى محمد مرتضى الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، (مؤسسة الهادي، قم، ط٢، ١٤١٦هـ).

٨. تفسير العياشي، الشيخ أبو النضر محمد بن مسعود العياشي (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، (مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤٢١هـ).

٩. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ق٣هـ) تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، (الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط١، ١٤٣٥هـ، د.مط).

١٠. الثقات، أبو حاتم محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)، (ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م)، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م).

١٢. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، د.ط).

١٣. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ/١٢٧٣)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م).

١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (الناشر: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، د.م).

١٥. الدر المنثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت).

١٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م).

١٧. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م)، تحقيق وتعليق: عادل شوشة، (مكتبة فياض، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م).

١٨. عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، تحقيق: عبد الكريم الكرماني، (مؤسسة الرافد، بغداد، ٢٠١١م، د.ط).

١٩. علل الشرائع، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، (المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م، د.ط).

٢٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

٢١. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٢٢. القراءات القرآنية في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الشيخ الدكتور عماد الكاظمي، (دار الكفيل، كربلاء المقدسة، ط١، ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م)

٢٣. قواعد المرام في علم الكلام، كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، (مط الصدر، ط٢، ١٤٠٦هـ، د.م).

٢٤. الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ، د.مط).

٢٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ).

٢٦. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم بن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م)، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

٢٧. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٢٨. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م).

٢٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٣٠. معاني الأخبار، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ، د.ط).

٣١. معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، (دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م).

٣٢. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ/٩٧١م): تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.مط).

٣٣. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤٢٠،٣هـ).

٣٤. الملل والنحل، عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، تقديم وإعداد: الدكتور عبد اللطيف محمد العبد، (مط الأنجلو المصرية، مصر، ط١، ١٩٧٧م).

٣٥. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي بن محمد بن محمد الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م)، تحقيق: تركي بن عبد الله الوادعي، (دار الآثار، صنعاء، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٣٦. مناهج اليقين في أصول الدين، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، تحقيق: يعقوب الجعفري المراغي، (مط إسوة، ط١، ١٤١٥هـ، د.م).

٣٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ).

٣٨. منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، (مط الهادي، قم، ط١، ١٣٧٩ش).

٣٩. الملل والنحل، عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، تقديم وإعداد: الدكتور عبد اللطيف محمد العبد، (مط الأنجلو المصرية، مصر، ط١، ١٩٧٧م).

٤٠. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ١٩٨٢م)، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤١. النكت الاعتقادية، محمد بن النعمان الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)، تحقيق: رضا المختاري، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣).

٤٢. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، (ت١٣٠٨هـ/١٨٩١م)، (ط١، ذوي القربى، قم، ١٣٨٤هـ).

٤٣. ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، (مط أسوة، الناشر: دار الأسوة، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ).

الملحق

حديث الاصطفاء

عن الريان بن الصلت قال: لمَّا حضر علي بن موسى عليهما السلام مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان.

فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١٧٠)؟

فقالت العلماء: أراد الله الأمة كُلَّها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة عليهم السلام.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة دون الأمة؟

فقال الرضا عليه السلام: لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾(١٧١). ثم

(١٧٠) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(١٧١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

جعلهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾(١٧٢) " فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

ثم قال الرضا عليه السلام هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١٧٣)، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي -أهل بيتي- لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) أنظروا كيف تخلفوني فيهما، يا أيها الناس لا تعلِّموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أو غير الآل؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال: ((أمتي آلي))، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه: ((آل محمد أمته)).

فقال الرضا عليه السلام: أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد؟

قالوا: نعم.

قال عليه السلام: فتحرم على الأمة؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: هذا فرق بين الآل وبين الأمة. ويحكم أين يذهب بكم! أصرفتم عن الذكر صفحًا؟ أم أنتم قوم مسرفون؟! أما علمتم أنما وقعت الرواية في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟! قالوا: من أين قلت يا أبا الحسن؟

---

(١٧٢) سورة الرعد: الآية ٢٣.

(١٧٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

قال عليه السلام: من قول الله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١٧٤) فصارت وراثة النبوة والكتاب في المهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أنَّ نوحًا سأل ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾(١٧٥) وذلك أنَّ الله وعده أنْ ينجيه وأهله، فقال له ربه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(١٧٦).

فقال المأمون: فهل فضَّل الله العترة على سائر الناس؟

فقال الرضا عليه السلام: إنَّ الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه.

قال المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟

قال الرضا عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾(١٧٧) وقال الله في موضع آخر: "﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾(١٧٨) ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(١٧٩) يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وَحُسِدوا عليهما بقوله: " ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ

---

(١٧٤) سورة الحديد: الآية ٢٦.

(١٧٥) سورة هود: الآية ٤٥.

(١٧٦) سورة هود: الآية ٤٦.

(١٧٧) سورة آل عمران: الآيتان ٣٣-٣٤.

(١٧٨) سورة النساء: الآية ٥٤.

(١٧٩) سورة النساء: الآية ٥٩.

فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، والملك ههنا الطاعة لهم.

قالت العلماء: هل فسَّر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسَّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في آثني عشر موضعًا.

* فأول ذلك قول الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[١٨٠] -ورهطك المخلصين- هكذا في قراء ة أُبَي بن كعب، وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود، وهذه منزلة رفيعة، وفضل عظيم، وشرف عالٍ حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله فهذه واحدة.

* والآية الثانية في الاصطفاء قول الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١٨١]، وهذا الفضل الذي لا يجحده معاند؛ لأنه فضلٌ بيِّنٌ.

* والآية الثالثة حين ميَّز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيه في آية الابتهال فقال: ﴿فَقُلْ -يا محمد- تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١٨٢] فأبرز النبي صلى الله عليه وآله عليًّا والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنى قوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾؟

قالت العلماء: عنى به نفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: غلطتم. إنَّما عنى به عليًّا عليه السلام، ومما يدلُّ على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله حين قال: لينتهينَّ بنو وليعة، أو لأبعثنَّ إليهم رجلًا كنفسي، يعني عليًّا عليه السلام.

---

(١٨٠) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(١٨١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

١٨٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

فهذه خصوصية لا يتقدمها أحَدٌ، وفضلٌ لا يختلف فيه بشرٌ، و شرفٌ لا يسبقه إليه خلقٌ، إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه فهذه الثالثة.

* وأما الرابعة: فإخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة حين تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس فقال: يا رسول الله تركت عليًّا وأخرجتنا؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم.

وفي هذا بيان قوله لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أوجدكم في ذلك قرآنًا أقرؤه عليكم.

قالوا: هات.

قال عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾(١٨٣) ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضًا منزلة علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: إنَّ هذا المسجد لا يحلُّ لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد.

فقالت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال أبو الحسن عليه السلام: ومن ينكر لنا ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها)). ففيما أوضحنا وشرحنا من

(١٨٣) سورة يونس: الآية ٨٧.

الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند، ولله عز وجل الحمد على ذلك. فهذه الرابعة.

* وأما الخامسة: فقول الله عز وجل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾(١٨٤) خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة.

فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا لي فاطمة، فدعوها له.

فقال: يا فاطمة.

قالت: لبيك يا رسول الله.

فقال: إنَّ فدك لم يوجَف عليها بخيلٍ ولا ركابٍ، وهي لي خاصة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذيها لك ولولدك. فهذه الخامسة.

* وأما السادسة: فقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(١٨٥) فهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله دون الأنبياء وخصوصية للآل دون غيرهم، وذلك أنَّ الله حكى عن الأنبياء في ذكر نوح عليه السلام ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾(١٨٦)، وحكى عن هود عليه السلام قال: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١٨٧).

---

(١٨٤) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(١٨٥) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(١٨٦) سورة هود: الآية ٢٩.

(١٨٧) سورة هود: الآية ٥١.

وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدُّون عن الدين أبدًا، ولا يرجعون إلى ضلالة أبدًا.

وأخرى أنْ يكون الرجل وادًّا للرجل، فيكون بعض أهل بيته عدوًّا له فلا يسلم قلب، فأحب الله أنْ لا يكون في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله على المؤمنين شيء، إذ فرض عليهم مودة ذي القربى، فمن أخذ بها وأحب رسول الله صلى الله عليه وآله وأحب أهل بيته (عليهم السلام) لم يستطع رسول الله أنْ يبغضه، ومَنْ تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله فعلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنْ يبغضه؛ لأنه قد ترك فريضة من فرائض الله، وأي فضيلة وأي شرف يتقدم هذا. ولمَّا أنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وآله ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قام رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ((أيها الناس إنَّ الله قد فرض عليكم فرضًا فهل أنتم مؤدوه)) فلم يجبه أحد. فقام فيهم يومًا ثانيًا، فقال مثل ذلك. فلم يجبه أحد. فقام فيهم يوم الثالث، فقال: ((أيها الناس إنَّ الله قد فرض عليكم فرضًا فهل أنتم مؤدوه)) فلم يجبه أحد.

فقال: أيها الناس إنه ليس ذهبًا ولا فضةً، ولا مأكولًا ولا مشروبًا.

قالوا: فهات إذًا؟ فتلا عليهم هذه الآية.

فقالوا: أمَّا هذا فنعم.

فما وفى به أكثرهم.

ثم قال أبو الحسن عليه السلام حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: ٱجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنَّ لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها بارًّا مأجورًا، ٱعطِ ما شئت، وأمسك ما شئت من غير حرج. فأنزل الله عز وجل عليه الروح

الأمين فقال: يا محمد ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ لا تؤذوا قرابتي من بعدي.

فخرجوا فقال أناس منهم: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته من بعده، إنْ هو إلا شيء ٱفتراه في مجلسه، وكان ذلك من قولهم عظيمًا.

فأنزل الله هذه الآية ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١٨٨] فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: هل من حدث؟

فقالوا: إي والله يا رسول الله، لقد تكلم بعضنا كلامًا عظيمًا فكرهناه، فتلا عليهم رسول الله فبكوا وٱشتد بكاؤهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[١٨٩] فهذه السادسة.

* وأما السابعة فيقول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١٩٠] وقد علم المعاندون [منهم] أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم [عليك] فكيف الصلاة عليك؟

فقال: تقولون: ((اللهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلى إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ)) وهل بينكم معاشر الناس في هذا ٱختلاف؟

قالوا: لا.

---

(١٨٨) سورة الأحقاف: الآية ٨.

(١٨٩) سورة الشورى: الآية ٢٥.

(١٩٠) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

فقال المأمون: هذا ما لا ٱختلاف فيه [أصلًا] وعليه الإجماع فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني عن قول الله: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١٩١) فمن عنى بقوله: يس؟

قال العلماء: يس محمد ليس فيه شك.

قال أبو الحسن عليه السلام: أعطى الله محمدًا وآل محمد من ذلك فضلًا لم يبلغ أحد كُنْهَ وصفه لِمَن عقله، وذلك أنَّ الله لم يسلِّم على أحد إلا على الأنبياء [صلوات الله عليهم] فقال تبارك وتعالى﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾(١٩٢)، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾(١٩٣)، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾(١٩٤)، ولم يقل: سلام على آل نوح. ولم يقل: سلام على آل إبراهيم. ولا قال: سلام على آل موسى وهارون. وقال عز وجل: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ يعني آل محمد.

فقال المأمون: لقد علمت أنَّ في معدن النبوة شرح هذا وبيانه. فهذه السابعة.

* وأما الثامنة فقول الله عز وجل: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾(١٩٥) فقرن سهم ذي القربى مع سهمه وسهم رسوله صلى الله عليه وآله فهذا فصل بين الآل والأمة؛ لأنَّ الله جعلهم في حيز، وجعل الناس كلهم في حيز دون ذلك، ورضي لهم ما رضي لنفسه وٱصطفاهم فيه، وٱبتدأ بنفسه ثم ثنَّى برسوله، ثم بذي القربى

(١٩١) سورة يس: الآيات١-٤.

(١٩٢) سورة الصافات: الآية ٧٩.

(١٩٣) سورة الصافات: الآية ١٠٩.

(١٩٤) سورة الصافات: ١٢٠.

(١٩٥) سورة الأنفال: الآية ٤١.

في كُلِّ مَنْ كان الفيء والغنيمة وغير ذلك مما رضيه عز وجل لنفسه ورضيه لهم فقال -وقوله الحق-: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ فهذا توكيد مؤكد وأمر دائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١٩٦].

وأما قوله: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ فإنَّ اليتيم إذا انقطع يُتْمَه خرج من المغانم ولم يكن له نصيب، وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب في المغنم، ولا يحل له أخذه، وسهم ذي القربى إلى يوم القيامة قائم فيهم للغني والفقير؛ لأنه لا أحد أغنى من الله ولا من رسوله صلى الله عليه وآله فجعل لنفسه منها سهمًا، ولرسوله صلى الله عليه وآله سهمًا، فما رضي لنفسه ولرسوله رضيه لهم، وكذلك الفيء ما رضيه لنفسه ولنبيه صلى الله عليه وآله رضيه لذي القربى، كما جاز لهم في الغنيمة فبدأ بنفسه، ثم برسوله صلى الله عليه وآله، ثم بهم، وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله وكذلك في الطاعة قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١٩٧] فبدأ بنفسه، ثم برسوله صلى الله عليه وآله، ثم بأهل بيته، وكذلك آية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[١٩٨] فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته، كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقرونًا بأسهمهم في الغنيمة والفيء، فتبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلما جاء ت قصة الصدقة نزَّه نفسه عزَّ ذكره، ونزَّه رسوله صلى الله عليه وآله، ونزَّه أهل بيته عنها فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ

(١٩٦) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(١٩٧) سورة النساء: الآية ٥٩.

(١٩٨) سورة المائدة: الآية ٥٥.

وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾[١٩٩]، فهل تجد في شيء من ذلك أنه جعل لنفسه سهمًا، أو لرسوله صلى الله عليه وآله أو لذي القربى؛ لأنه لمَّا نَزَّههم عن الصدقة نزَّه نفسه، ونزَّه رسوله، ونزَّه أهل بيته، لا بل حَرَّم عليهم؛ لأنَّ الصدقة محرمة على محمد وأهل بيته وهي أوساخ الناس لا تحل لهم؛ لأنهم طُهِّروا من كُلِّ دنس ووسخ، فلما طهَّرهم وٱصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه.

* وأما التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله في محكم كتابه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢٠٠].

فقال العلماء: إنَّما عنى بذلك اليهود والنصارى.

قال أبو الحسن عليه السلام: وهل يجوز ذلك؟ إذا يدعونا إلى دينهم ويقولون: إنهم أفضل من دين الإسلام.

فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح يخالف ما قالوا يا أبا الحسن؟

قال: نعم. الذكر رسول الله، ونحن أهله، وذلك بين في كتاب الله بقوله في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[٢٠١]، فالذكر رسول الله، ونحن أهله. فهذه التاسعة.

* وأما العاشرة فقول الله عز وجل في آية التحريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ

(١٩٩) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(٢٠٠) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٢٠١) سورة الطلاق: الآيتان ١٠-١١.

اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(٢٠٢) أخبروني هل تصلح ٱبنتي أو ٱبنة ٱبني، أو ما تناسل من صلبي لرسول الله أنْ يتزوجها لو كان حيًّا؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: فأخبروني هل كانت ٱبنة أحدكم تصلح له أنْ يتزوجها؟

قالوا: بلى.

قال: فقال عليه السلام: ففي هذا بيان أنا من آله، ولستم من آله، ولو كنتم من آله لحرمت عليه بناتكم كما حرمت عليه بناتي؛ لأنَّا من آله وأنتم من أمته، فهذا فرق بين الآل والأمة؛ لأنَّ الآل منه، والأمة إذا لم تكن الآل فليست منه. فهذا العاشرة.

* وأما الحادية عشر فقوله في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٢٠٣) وكان ٱبن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه، ولم يضفه إليه بدينه. وكذلك خصصنا نحن إذ كُنَّا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله بولادتنا منه، وعممنا الناس بدينه، فهذا فرق ما بين الآل والأمة. فهذه الحادية عشر.

(٢٠٢) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢٠٣) سورة غافر: الآية ٢٨.

*** وأما الثانية عشر فقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٢٠٤]، فخصَّنا بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع أمره، ثم خصَّنا دون الأمة، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كُلِّ يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: ((الصلاة يرحمكم الله))، وما أكرم الله أحدًا من ذراري الأنبياء بهذه الكرامة التي أكرمنا الله بها، وخصَّنا من جميع أهل بيته. فهذا فرق ما بين الآل والأمة. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد نبيه.**

(٢٠٤) سورة طه: الآية ١٣٢.

الفهرس

مقدمة	٣
تمهيد: المقام الإلهي لأهل البيت عليهم السلام	٥
حديث الاصطفاء	١١
- المورد الأول: آية الإنذار	١٣
- المورد الثاني: آية التطهير	١٩
- المورد الثالث: آية المباهلة	٢٦
- المورد الرابع آية البيوت قِبلة	٣٢
- المورد الخامس: آية حق القربى	٤٠
- المورد السادس: آية المودة	٤٥
- المورد السابع: آية الصلاة على النبي	٥١
- المورد الثامن: آية الخمس	٥٧
- المورد التاسع: آية أهل الذكر	٦٣
- المورد العاشر: : آية التحريم	٦٧
- المورد الحادي عشر: آية مؤمن آل فرعون	٧١
- المورد الثاني عشر: آية الصلاة والاصطبار عليها	٧٥
خاتمة المطاف	٧٩

قائمة المصادر والمراجع	٨١
الملحق	٨٧
الفهرس	١٠١

إنَّ حديث الاصطفاء من عيون أحاديث الإمام علي بن موسى الرضا «عليه السلام» في الجانبين العقدي والتفسيري، ومن سبل الدعوة والاحتجاج بالحسنى في بيان العقيدة الإسلامية ، ويلحظ الباحث من خلال منهج الاستدلال وقوة الحجج التي يستند إليها الإمام في ذلك المجلس الذي ضم المأمون العباسي وعدد كبير من العلماء، وقد أستطاع الإمام في ذلك المجلس من محاجَّة القوم وإقامة الدليل على ما يقوله من خلال القرآن الكريم والمشهور من الروايات، وبيانه أهمية الركون إلى منهج الثقلين في ذلك، وهذه الصفحات من الكتاب تحاول بيان ذلك الاصطفاء على وفق قراءة تتناول الجانب العقدي من خلال تفاسير المسلمين للآيات الواردة ..

العلامية
للتأليف والتحقيق والنشر